۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم
مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ
مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ
ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ
أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ
أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ
خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم
مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ

مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح مسلم

(1456) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، "

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺتَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ:
{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء:24]، أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ "()

(وَ) من المحرمات في النكاح :-

(وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ)

أي: ذوات الأزواج.

(أوطاس) موضع عند الطائف يصرف ولا يصرف

(تحرجوا) خافوا الحرج وهو الإثم من غشيانهن أي من وطئهن من أجل أنهن زوجات والمزوجة لا تحل لغير زوجها

(والمحصنات) المراد بالمحصنات هنا المزوجات و معناه والمزوجات حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي فإنه ينفسخ نكاح زوجها الكافر و تحل لكم إذا انقضى استبراؤها -قال الجزائري:-

سميت محصنة لان الزوج قد حفظها باستقلاله بها عن غيره

و المراد بقوله إذا انقضت عدتهن أي استبراؤهن و هي بوضع الحمل من الحامل و بحيضة من الحائل]

فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في ذمة الزوجِ حتى تطلق و تنقضي عدتها.

***الْعَفَائِفَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَمْلِكُوا عِصْمَتَهُنَّ بِنِكَاحٍ وَ شُهُودٍ وَ مُهُورٍ وَ وَلِيٍّ [وَاحِدَةً أَوِ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا.]

(إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ)

أي: بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات الزوج حلت للمسلمين بعد أن تستبرأ.

و أما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت فإنه لا ينفسخ نكاحها

لأن المالك الثاني نزل منزلة الأول و لقصة بريرة حين خيرها النبي ﷺ.

وقوله: (كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ)

أي: الزموه و اهتدوا به فإن فيه الشفاء و النور

و فيه تفصيل الحلال من الحرام.

و دخل في قوله: (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ) كلُّ ما لم يذكر في هذه الآية، فإنه حلال طيب.

☼فالحرام محصور و الحلال ليس له حد و لا حصر لطفًا من الله و رحمة و تيسيرًا للعباد.

و قوله: (أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم)

أي:تطلبوا من وقع عليه نظركم و اختياركم من اللاتي أباحهن الله لكم حالة كونكم

(مُّحْصِنِينَ) أي: مستعفين عن الزنا، و معفين نساءكم.

(غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ)

و السفـــــــــح:–

سفح الماء في الحلال و الحرام،

فإن الفاعل لذلك لا يحصن زوجته لكونه وضع شهوته في الحرام

فتضعف داعيته للحلال فلا يبقى محصنا لزوجته.

و فيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف لقوله تعالى:

[الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ]

(أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ)

***تَحَصَّلُوا بِأَمْوَالِكُمْ مِنَ الزَّوْجَاتِ إِلَى أَرْبَعٍ أَوِ السَّرَارِي مَا شِئْتُمْ بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ وَ لِهَذَا قَالَ: {مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ}

(فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ) أي: ممن تزوجتموها *بالنكاح الصحيح

(فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)

*الميسر:مهورهن

أي: الأجور في مقابلة الاستمتاع.

و لهذا إذا دخل الزوج بزوجته تقرر عليه صداقها

(فَرِيضَةً) أي: إتيانكم إياهن أجورهن فرض فرضه الله عليكم،

ليس بمنزلة التبرع الذي إن شاء أمضاه و إن شاء رده.

أو معنى قوله (فَرِيضَةً)

أي: مقدرة قد قدرتموها فوجبت عليكم، فلا تنقصوا منها شيئًا.

(فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)

*** كَمَا تَسْتَمْتِعُونَ بِهِنَّ فَآتَوْهُنَّ مُهُورَهُنَّ فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ:

{وَ كَيفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} [النِّسَاءِ: 21]

وَكَقَوْلِهِ {وَ آتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} [النساء:4]

وكقوله{وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا} [البقرة: 229]

*** وَ قَدِ اسْتُدِلَّ بِعُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى نِكَاحِ الْمُتْعَةِ،

وَ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مَشْرُوعًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ نُسِخَ بَعْدَ ذَلِكَ

*** صحيح البخاري

5115 – عن عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ:

«إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ المُتْعَةِ،وَ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، زَمَنَ خَيْبَرَ»

*** صحيح مسلم

(1406) عن سَبْرَةَ بن معبد الْجُهَنِيُّ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺفَقَالَ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ،

وَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ،
وَ لَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا»( )

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ)

*الميسر:و لا إثم عليكم فيما تمّ التراضي به بينكم،
من الزيادة أو النقصان في المهر، بعد ثبوت الفريضة.

❍أي:

1–بـــــــزيادة من الزوج

2–أو إسقـــــــاط من الزوجة عن رضا و طيب نفس

هذا قول كثير من المفسرين،

❍و قال كثير منهـــــــــم:–

إنها نزلت في متعة النساء التي كانت حلالا في أول الإسلام ثم حرمها النبي ﷺ

❍و أنه يؤمر بتوقيتها و أجرها، ثم إذا انقضى الأمد الذي بينهما
فتراضيا بعد الفريضة فلا حرج عليهما،

(إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع) في هذا الحديث التصريح بالمنسوخ والناسخ في حديث واحد من كلام رسول الله ﷺكحديث[كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها]و فيه التصريح بتحريم نكاح المتعة إلى يوم القيامة]

و الله أعلم .

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)

أي: كامل العلم واسعه ، كامل الحكمـــــــــــة:-

1-فمـــــــــــن علمه و حكمته شرع لكم هذه الشرائع

2-و حد لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال و الحرام.

وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾

(وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا)

الطول:- الذي هو المهــــــــــر

***سعة و قدرة

(أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ)

لنكاح المحصنات أي: الحرائر المؤمنات

(فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ)

*الميسر: فله أن ينكح غيرهن، من فتياتكم المؤمنات المملوكات

(وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ)

و هذا بحسب ما يظهر،

و إلا فالله أعلم بالمؤمن الصادق من غيره،

فأمور الدنيا مبنية على ظواهر الأمور،

و أحكام الآخرة مبنية على ما في البواطن

(فَٱنكِحُوهُنَّ) أي: المملوكات

(بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ) أي: سيدهن واحدا أو متعددا.

***فدل ذلك علي أن السيد ولي أمته لا تُزَّوج الا بإذنه

(وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ)

أي: و لو كن إماء، فإنه كما يجب المهر للحرة فكذلك يجب للأمة.

و لكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن

(مُحۡصَنَٰتٍ) أي: عفيفات عن الزنا

(غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ) أي: زانيات علانية.

***الزواني الاتي لا يمنعن من أرادهن بالفاحشة

﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ﴾ أي: أخلاء في السر.

فالحاصل أنه لا يجوز للحر المسلم نكاح أمة إلا بأربعة شروط ذكرها الله:–

1–الإيمــــــــان بهن

2–و العفـــــــــة ظاهرا و باطنا،

3–و عـــــــدم استطاعة طول الحرة،

4–و خـــــوف العنت،

فإذا تمت هذه الشروط جاز له نكاحهن.

و قوله: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ أي: تزوجن أو أسلمن أي:– الإمــــــاء

﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ أي: الحرائر

﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ .

و ذلك الذي يمكن تنصيفه

و هو: الجَلد فيكون عليهن خمسون جَلدة.

و أما الرجم فليس على الإماء رجم لأنه لا يتنصف،

فعلى القـــــول الأول :–

إذا لم يتزوجن فليس عليهن حد،

إنما عليهن تعزير يردعهن عن فعل الفاحشة.

و على القول الثاني:-

إن الإماء غير المسلمات، إذا فعلن فاحشة أيضا عزرن.

(ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ)

و خاف على نفسه

(ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ)أي: الزنا و المشقة الكثيرة،

فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات.

(وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ)

و مع هذا فالصبر عن نكاحهن أفضل لما فيه من تعريض الأولاد للرق،

و لما فيه من الدناءة و العيب.

و هذا إذا أمكن الصبر،

فإن لم يمكن الصبر عن المحرم إلا بنكاحهن وجب ذلك.

و لهذا قال: (وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ) .

(وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)

و ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين « الغفور والرحيم »

لكون هذه الأحكام رحمةً بالعباد و كرمًا و إحسانًا إليهم فلم يضيق عليهم،

بل وســـــــــع غاية السعة.

و لعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنوب عباده كما ورد بذلك الحديث.

و حكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما.

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالى بمنته العظيمة و منحته الجسيمة، و حسن تربيته لعباده المؤمنين و سهولة دينه فقال:

(يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)

أي: جميع ما تحتاجون إلى بيانه من الحق و الباطل، و الحلال و الحرام،

(وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)

*الميسر: و يدلكم على طرق الأنبياء و الصالحين من قبلكم في الحلال و الحرام

❍أي: الذين أنعم الله عليهم من النبيين و أتباعهم، في سيرهم الحميدة، و أفعالهم السديدة، و شمائلهم الكاملة، و توفيقهم التام.

فلذلك نفذ ما أراده، و وضح لكم و بَيَّن بيانا كما بين لمن قبلكم،

و هداكم هداية عظيمة في العلم و العمل.

(وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ)

أي:

1-يلطـــــــــــف لكم في أحوالكم و ما شرعه لكم

[حتى تمكنوا من الوقوف على ما حده الله،]

2-و الاكتفـــــــاء بما أحله

[فتقل ذنوبكم بسبب ما يسر الله عليكم]فهذا من توبته على عباده.

3-و من توبتــــــــه عليهم أنهم إذا أذنبـــــــوا-

1-فتــــــح لهم أبواب الرحمة

2-و أوزع قلوبهم الإنابة إليه،و التذلل بين يديه

ثم يتـــــــوب عليهم :-

بقبول ما وفقهم له.فله الحمد والشكر على ذلك.

و قوله: (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

أي: كامل الحكمة،

فمن علمـــــــه أن:-

علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون، و منها هذه الأشياء و الحدود.

و من حكمتـــــــه أنه:-

يتوب على من اقتضت حكمته و رحمته التوبة عليه،
و يخذل من اقتضت حكمته و عدله من لا يصلح للتوبة.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا
عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً
عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ
ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾
إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم
مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ
وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا
عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

أي: توبة تلم شعثكم، و تجمع متفرقكم، و تقرب بعيدكم.

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾

*** يُريد أَتْبَاعُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى وَ الزُّنَاةِ

أي: يميلون معها حيث مالت

و يقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم،

و يعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة و العاصين،

المقدمين لأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون

﴿أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾

1– أن تنحرفوا عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم و الضالين.

2–يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان،

3–و عن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره

← إلى مَنْ الشقاوةُ كلها في اتباعه.

–فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صلاحكم و فلاحكم و سعادتكم،

و أن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الخسار و الشقاء، فاختاروا لأنفسكم أوْلى الداعيين، و تخيّروا أحسن الطريقتين.

(يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا)

أي: بسهولة ما أمركم به و ما نهاكم عنه (((في شرائعه و أوامره و نواهيه)))

ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم،

كـــــــ:-

1-الميتـــــــة

2-و الـــــــدم و نحوهما للمضطر،

3-و كتـــــــزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة.

و ذلك لـــــــ:-

1-رحمته التامة و إحسانه الشامل،

2-و علمه و حكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه:-

1*ضعـــــــف البنيـــــــة،

2*و ضـــــــعف الإرادة،

3*و ضعف العـــــــزيمة،

4*و ضعف الإيمـــــــان،

5*و ضعف الصبـــــــر،

فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه و ما لا يطيقه إيمانه و صبره و قوته.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل،

و هذا يشمل أكلها بـــــــــ:-

1-الغصـــــــــوب

2-و الســــــــــرقات،

3-و أخذها بالقمــــــــار

4-و المكـــــــــاسب الرديئة.

5-بل لعله يدخل في ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر و الإسراف، لأن هذا من الباطل و ليس من الحق.

ثم إنه – لما حرم أكلها بالباطل- أباح لهم أكلها بــــــــــ:-

1-التجـــــــــارات

2-والمكـــــــاسب الخالية من الموانع،

[المشتملة على الشروط من التراضي و غيره.]

(وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ)

1-لا يقتل بعضكم بعضًا،

2-و لا يقتل الإنسان نفسه.

3-و يدخل في ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة،

4-و فعلُ الأخطار المفضية إلى التلف و الهلاك

***صحيح البخاري

5778 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

« مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا،

وَ مَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا،

وَ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»( )

(تردى) أسقط نفسه.

(خالدا مخلدا فيها أبدا) المراد بالخلود والتأبيد المكوث الطويل أو الاستمرار الذي لا ينقطع ويكون ذلك في حق من استحل قتل نفسه.

(تحسى) شرب وتجرع.

(يجأ) يطعن ويضرب]

***صحيح مسلم

(113) عن قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ:

" إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قُرْحَةٌ،

فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنَكَأَهَا، فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ،

قَالَ رَبُّكُمْ: «قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»،

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ،

فَقَالَ: إِي وَاللهِ، لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ.( )

و تـــــأمل هذا الإيجاز و الجمع في قـــــــوله:

(لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم) (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ)

كيف شمل [أموال غيرك و مال نفسك]

[و قتل نفسك و قتل غيرك]بعبارة أخصر من قـــــــوله:

« لا يأكل بعضكم مال بعض » و « لا يقتل بعضكم بعضًا »

مع قصور هذه العبارة على مال الغير و نفس الغير فقط.

–مع أن إضافة الأموال و الأنفس إلى عموم المؤمنين

(خرجت به قرحة) القرحة واحدة القروح وهي حبات تخرج في بدن الإنسان

(كنانته) الكنانة هي جعبة النشاب سميت كنانة لأنها تكن السهام أي تسترها

(فنكأها) أي قشرها وخرقها وفتحها

(لم يرقأ الدم) أي لم ينقطع يقال رقأ الدم والدمع يرقأ رقوءا مثل ركع يركع ركوعا إذا سكن وانقطع]

فيه دلالـــــــة على أن:-

المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم و مصالحهم كالجسد الواحد،

حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية و الدنيوية.

❍و لما نهى عن أكل الأموال بالباطل التي فيها غاية الضرر عليهم،

على الآكل، و من أخذ ماله،

أباح لهم ما فيه مصلحتهم من:-

1-أنواع المكـــــــاسب و التجـــــــارات،

2-و أنواع الحـــــــرف و الإجـــــــارات،

فقال: (إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ)

أي: فإنها مبـــــــاحة لكم.

و شَرَطَ التراضي - مع كونها تجارة- لدلالة أنه يشترط أن يكـــــــون:-

1-العقد غير عقد ربا لأن الربا ليس من التجارة،بل مخالف لمقصودها،

2-و أنه لا بد أن يرضى كل من المتعاقدين و يأتي به اختيارًا.

3-و من تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوما،

لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدورًا على تسليمه،

لأن غير المقدور عليه شبيه ببيع القمار،

←فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده.

❍و فيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل،

لأن الله شَرَط الرضا فبأي طريق حصل الرضا انعقد به العقد.

ثم ختــــــــم الآية بقوله:

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا)

و من رحمتـــــــــه أن:-

1- صـــــــــان نفوسكم و أموالكم،

2-و نهـــــــــاكم عن إضاعتها و إتلافها،

3-و رتـــــــــب على ذلك ما رتبه من الحدود.

4-عصـــــــــم دماءكم و أموالكم و صانها و نهـــــــــاكم عن انتهاكها.

ثم قال: (وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ) أي: أكل الأموال بالباطل و قتل النفوس

(عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا) أي: لا جهلا و نسيانا

(فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ) أي: عظيمة كما يفيده التنكير

(وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا).

إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾

و هذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين

و عدهم أنهم إذا اجتنبوا كبـــــــائر المنهيـــــــــات:-

1-غفـــــــــر لهم جميع الذنوب و السيئات((***صغائر الذنوب)))

2-(وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا)

و أدخلهـــــــــــم مدخلا كريما كثير الخير

[و هو الجنة المشتملة على:-

1-ما لا عيـــــــــن رأت،

2-و لا أذن سمعـــــــــــت،

3-و لا خطر على قلب بشر]

و يدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكبا كبيرة، كالصلوات الخمس، و الجمعة، و صوم رمضان، كما قال النبي ﷺ

« الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما ما اجتنبت الكبائر » .

و أحسن ما حُدت به الكبائر أن الكبيرة ما فيه:-

1- حـــــــــد في الدنيا،

2-أو وعيـــــــــد في الآخرة، (في كتاب أو سنة)

3-أو نفـــــــــي إيمان،

4–أو تـــــــرتيب لعنة،

5–أو غضـــــــــب عليه.

*** صحيح البخاري

2766 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ مَا هُنَّ؟ قَالَ:
1-الشِّرْكُ بِاللَّهِ،
2-وَ السِّحْرُ،
3-وَ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ،
4-وَ أَكْلُ الرِّبَا،
5-وَ أَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ،
6-وَ التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ،
7-وَ قَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»( )

***فَالنَّصُّ عَلَى هَذِهِ السَّبْعِ بِأَنَّهُنَّ كَبَائِرُ لَا يَنْفِي مَا عَدَاهُنَّ

(اجتنبوا) ابتعدوا.
(الموبقات) المهلكات.
(السحر) هو في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه وبمعنى صرف الشيء عن وجهه ويستعمل بمعنى الخداع.
والمراد هنا ما يفعله المشعوذون من تخييلات وتمويه تأخذ أبصار المشاهدين وتوهمهم الإتيان بحقيقة أو تغييرها.
(بالحق) كالقتل قصاصا.
(التولي يوم الزحف) الفرار عن القتال يوم ملاقاة الكفار والزحف في الأصل الجماعة الذين يزحفون إلى العدو أي يمشون إليهم بمشقة مأخوذ من زحف الصبي إذا مشى على مقعدته.
(قذف) هو الاتهام والرمي بالزنا.
(المحصنات) جمع محصنة وهي العفيفة التي حفظت فرجها وصانها الله من الزنا.
(الغافلات) البريئات اللواتي لا يفطن إلى ما رمين به من الفجور]

***صحيح البخاري

5977 عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الكَبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ

فَقَالَ: " الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَ قَتْلُ النَّفْسِ، وَ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ،

فَقَالَ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟

قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ " قَالَ شُعْبَةُ:

وَ أَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: «شَهَادَةُ الزُّورِ»

***صحيح البخاري

6919 - عن أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

" أَكْبَرُ الكَبَـــــــائِرِ:

1-الإِشْـــــرَاكُ بِاللَّهِ،

2-وَ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ،

3-وَ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَ شَهَادَةُ الزُّورِ - ثَلاَثًا - أَوْ: قَوْلُ الزُّورِ "

فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ

***صحيح البخاري

6001 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟

قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَ هُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟

قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:

«أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» وَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[الفرقان: 68 – 70]

***صحيح البخاري

6920 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ»

قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»

قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «اليَمِينُ الغَمُوسُ»

قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟

قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ»( )

*** صحيح البخاري

5973 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟

قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»( )

***صحيح البخاري

48 - عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ المُرْجِئَةِ، فَقَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَ قِتَالُهُ كُفْرٌ»( )

ش (اليمين الغموس) هي أن يحلف على خلاف ما يعلم متعمدا الكذب في ذلك.

(يقتطع مال امرئ) يأخذ بسببها قطعة من ماله بغير حق

(أكبر الكبائر) أفظع الذنوب وأشدها عقابا.

(يلعن) يسب ويشتم

***صحيح مسلم

(82) عن جَابِر، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»( )

***صحيح البخاري

553 - عَنْ أَبِي المَلِيحِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلاَةِ العَصْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»

وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ

وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾

(وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ)

*** وَلَا يَتَمَنَّى الرَّجُلُ فَيَقُولُ: "لَيْتَ لَوْ أَنَّ لِي مَالَ فُلَانٍ وَ أَهْلَهُ!

" فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَ لَكِنْ يَسْأَلُ اللَّهَ مَنْ فَضْلِهِ.

وَ هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ وَ لَا يَرِدُّ عَلَى هَذَا مَا ثَبَتَ:

(المرجئة) الفرقة الملقبة بذلك من الإرجاء وهو التأخير سموا بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان يقولون لا يضر مع الإيمان معصية.

(سباب المسلم) شتمه والتكلم في عرضه بما يعيبه ويؤذيه. (فسوق) فجور وخروج عن الحق.

(كفر) أي إن استحله. والمراد إثبات ضرر المعصية مع وجود الإيمان]

(بين الشرك والكفر ترك الصلاة) معناه إن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه]

1-*صحيح البخاري**

5025 - عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: " لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ:-

1-رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الكِتَابَ، وَ قَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ،

2-وَ رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ "( )

2-*سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط**

4228 -عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ

"مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ:-

1-رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ،

2-وَ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ:-

لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ"

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: "فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ،

3-وَ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ،

4-وَ رَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ:-

لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ ما لهَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ"

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: "فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ"

←فَإِنَّ هَذَا شَيْءٌ غَيْرُ مَا نَهَتِ الْآيَةُ عَنْهُ،

وَ ذَلِكَ أَنَّ الْحَدِيثَ حَضَّ عَلَى تَمَنِّي مِثْلَ نِعْمَةِ هَذَا،

(لا حسد) جائز ومشروع ومطلوب ومعناه هنا أن يشتهي أن يكون له مثل ما لغيره من النعم مع حب دوام ذلك لغيره ويسمى غبطة. (آتاه الله الكتاب) أعطاه القرآن حفظا وفهما. (آناء الليل) ساعاته وأوقاته]

وَ الْآيَةُ نَهَتْ عَنْ تَمَنِّي عَيْنَ نِعْمَةِ هَذَا

ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة.

1-فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء،

2-و لا صاحب الفقر و النقص حالة الغنى و الكمال :-

تمنيـــــــا مجردا لأن هـــــــــذا:-

1-هو الحسد بعينه((تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك و يسلب إياها))

2-و لأنه يقتضي السخط على قدر الله و الإخلاد إلى الكسل و الأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل و لا كسب.

-و إنما المحمود أمـــــــــران:

1-أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية و الدنيوية،

2-و يسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه و لا على غير ربه.

و لهذا قال تعالى: (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ)

أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب.

(وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ)

فكل منهم لا يناله غير ما كسبه و تعب فيه. (وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ)

أي: من جميع مصالحكم في الدين و الدنيا.

فهذا كمال العبد و عنوان سعادته

لا مـــــن:-

1-يتـــــــرك العمل،

2-أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه،

3-أو يجمع بين الأمرين فإن هذا مخذول خاسر.

و قوله: (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا)

فيعطي من يعلمه أهلا لذلك، و يمنع من يعلمه غير مستحق.

وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٣٣

أي: (وَلِكُلّٖ) من الناس

(جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ)

أي: يتولونه و يتولاهم بالتعزز و النصرة و المعاونة على الأمور

*الميسر:و لكل واحد منكم جعلنا ورثة

(مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ)

و هذا يشمل سائر الأقارب من الأصول و الفروع و الحواشي،

هؤلاء الموالي من القرابة.

ثم ذكر نوعا آخر من الموالي فقال: -

(وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ)

أي: حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد المحالفة علـــــــــى:-

النصرة و المساعدة و الاشتراك بالأموال و غير ذلك.

❍و كل هذا من نعم الله على عباده،

حيث كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفردا.

قال تعالى: (فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ)

أي: آتوا الموالي نصيبهم الذي يجب القيام به مـــــــن :-

[النصرة و المعاونة و المساعدة على غير معصية الله.]

و الميراث للأقارب الأدنين من الموالي.

* الميسر :و الميراث بالتحالف كان في أول الإسلام،

ثم رُفع حكمه بنزول آيات المواريث.

*** صحيح البخاري

4580 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} [النساء: 33]، قَالَ: وَرَثَةً. (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ):

«كَانَ المُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ يَرِثُ المُهَاجِرِيُّ الأَنْصَارِيَّ، دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ»،

فَلَمَّا نَزَلَتْ: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} [النساء: 33] نُسِخَتْ،
ثُمَّ قَالَ: (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) مِنَ النَّصْرِ وَالرِّفَادَةِ وَالنَّصِيحَةِ،
وَقَدْ ذَهَبَ المِيرَاثُ وَيُوصِي لَهُ، سَمِعَ أَبُو أُسَامَةَ، إِدْرِيسَ، وَسَمِعَ إِدْرِيسُ،
طَلْحَةَ

*** صحيح مسلم

(2530) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ،
وَ أَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً»

*** صحيح البخاري

6732 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»( )

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا)

أي: مطلعا على كل شيء بعلمه لجميع الأمور،

و بصره لحركات عباده، و سمعه لجميع أصواتهم.

(ألحقوا الفرائض بأهلها) أعطوا الأنصباء المقدرة في كتاب الله تعالى لأصحابها المستحقين لها.
(فما بقي) فما زاد من التركة عن أصحاب الفروض.
(فلأولى) لأقرب وارث من العصبات]

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

يخبر تعالى أن (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ)

أي:-قوامون عليهن بإلـــــــزامهن بحقوق الله تعالى، مــــــــن:-

1- المحـــــــــافظة على فرائضه

2-و كفهــــــــن عن المفاسد، و الرجال عليهم أن يلزموهن بذلك،

و قـــــــوامون عليهن أيضا بــــــ:-

1-الإنفـــــاق عليهن،

2-و الكســــــوة و المسكــــــن،

*** أُمَرَاءُ عَلَيْهَا أَيْ تُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ،
و طاعتُه:- أَنْ تَكُونَ مُحْسِنَةً إِلَى أَهْلِهِ حَافِظَةً لِمَالِهِ.

ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقـــــال:-

(بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ)

أي: بسبب فضل الرجال على النساء و إفضالهم عليهن،

فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: -

1-من كون الولايات مختصة بالرجال(Î) و النبوة، و الرسالة،

2-و اختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد و الأعياد و الجمع.

3-و بما خصهم الله به من العقل و الرزانة و الصبر و الجلد الذي ليس للنساء مثله.

4-و كذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل و كثير من النفقات يختص بها الرجال و يتميزون عن النساء.

***** مِنَ الْمُهُورِ وَ النَّفَقَاتِ وَ الْكُلَفِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ لهنَّ فِي كِتَابِهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ**

*****كما قال الله** ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ ﴾ البقرة: ٢٢٨

❍و لعل هذا سر قوله: (وَبِمَا أَنْفَقُوا)

و حذف المفعول ليدل على عموم النفقة.

فَعُلِمَ من هذا كله أن الرجل كالوالي و السيد لامرأته،

و هي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به.

و وظيفتها: القيام بطاعة ربها و طاعة زوجها

قال بن كثير:لهذا كانت النبوة مختصة بالرجال و كذلك الملك الأعظم كما في
صحيح البخاري7099 - عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ الجَمَلِ، لَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺأَنَّ فَارِسًا مَلَّكُوا ابْنَةَ كِسْرَى قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً» و كذلك منصب القضاء

فلهذا قال: (فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ) أي: مطيعات لله تعالى

(حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ)

أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها و ماله،

(بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ)

و ذلك بحفظ الله لهن و توفيقه لهن، لا من أنفسهن،فإن النفس أمارة بالسوء، و لكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه و دنياه.

ثم قال: (وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)

أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل،

*** وَ النُّشُوزُ: هُوَ الِارْتِفَاعُ، فَالْمَرْأَةُ النَّاشِزُ هِيَ الْمُرْتَفِعَةُ عَلَى زَوْجِهَا، التَّارِكَةُ لِأَمْرِهِ، المُعْرِضَة عَنْهُ، المُبْغِضَة لَهُ.

*** سنن الترمذي ت شاكر

1159 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

«لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»

*** صحيح البخاري

5193 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»

*** سنن أبي داود

2142 - عَنْ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَ تَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوِ اكْتَسَبْتَ. وَ لَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَ لَا تُقَبِّحْ، وَ لَا تَهْجُرْإِلَّا فِي الْبَيْتِ»،

قَالَ أَبُو دَاوُدَ:- " وَ لَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ: قَبَّحَكِ اللَّهُ "

(فَعِظُوهُنَّ)

أي: ببيـــــــان حكم الله في:-

1- طـــــــــاعة الزوج و معصيته

2-و التـــــــــرغيب في الطاعة،

3-و التـــــــــرهيب من معصيته،

فإن انتهت فذلك المطلوب،

(وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ)

و إلا فيهجرها الزوج في المضجـــــــــع، بأن:-

[لا يضاجعها، و لا يجامعها]بمقـــــــــدار :-

ما يحصل به المقصود،

(وَٱضۡرِبُوهُنَّ)

و إلا ضربها ضربًا غير مبرح،

(فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ)

فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور و أطعنكم

***سنن ابن ماجه

1851 - عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ:

حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، وَ ذَكَّرَ وَ وَعَظَ، ثُمَّ قَالَ:

«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ،

لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ،

فَإِنْ فَعَلْنَ :-

1-فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ،

2-وَ اضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ،

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، إِنَّ لَكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ،

فَلَا يُوَطِّئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ،

وَ لَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ،

أَلَا وَ حَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَ طَعَامِهِنَّ»( )

(استوصوا بالنساء خيرا) قيل الاستيصاء قبول الوصية أي أوصيكم بهن خيرا فاقبلوا وصيتي فيهن. وقيل الاستيصاء بمعنى الإيصاء.

(عوان) جمع عانية بمعنى الأسيرة.

(إلا أن يأتين) أي لا تملكون غير ذلك في وقت إلا وقت إتيانهن بفاحشة مبينة أي ظاهرة فحشا وقبحا.

(والمضاجع) أي المراقد. أي فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن. فيكون كناية عن الجماع.

(غير مبرح) هو الشديد الشاق.

(فإن أطعنكم) في ترك النشوز.

(فلا تبغوا الخ) بالتوبيخ والأذية. أي فأزيلوا عنهن التعرض. واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن. فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ)

أي: فقد حصل لكم ما تحبون فاتركـــــــوا:-

1-معـــــــــاتبتها على الأمور الماضية،

2-و التنقيـــــــب عن العيوب التي يَضُرُ ذكرها و يَحْدُثُ بسببه الشر.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا)

أي: له العلو المطلق بجميع الوجـــــــوه و الاعتبـــــــارات:-

1-علو الـــــــذات

2-و علو القـــــــدر

3-و علو القهـــــــر الكبير

[الذي لا أكبر منه و لا أجل و لا أعظم]

كبير الذات و الصفات.

وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥

(فلا يوطئن) صفة جمع النساء من الإيطاء. قال الخطابي معناه أن لا يأذن لأحد من الرجال يدخل فيتحدث إليهن. وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب لا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة. فلما نزلت آية الحجاب وصارت النساء مقصورات نهي عن محادثتهن والقعود إليهن.

(لمن تكرهون) أي من تكرهون دخوله. سواء كرهتموه في نفسه أم لا. قيل المختار منعهن عن إذن أحد في الدخول والجلوس في المنازل. سواء كان محرما أو امرأة إلا برضاه] .

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا)

أي: و إن خفتم الشقاق بين الزوجين و المباعدة و المجانبة حتى يكون كل منهما في شق

(فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ)

أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين،

[و يعرفان الجمع و التفريق.]

و هذا مستفاد من لفظ « الحكم » لأنه لا يصلح حكما إلا من اتصف بتلك الصفات.

- فينظـــــــــران ما ينقم كل منهما على صاحبه،
- ثم يلـــــــــزمان كلا منهما ما يجب،
- فإن لم يستطع أحدهما ذلك، قنَّعا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر مـــــن:-

[الرزق و الخُلُق]

و مهما أمكنهما الجمع و الإصلاح فلا يعدلا عنه.

- فإن وصلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما و إصلاحهما إلا علـــى:-

[وجه المعاداة و المقاطعة و معصية الله]

و رأيـــــــا أن التفريق بينهما أصلح، فَـــــــرَقا بينهما.

و لا يُشْتَرَطُ رضا الزوج،

كما يدل عليه أن الله سماهما حكمين،

و الحكم يحكم و لو لم يرض المحكوم عليه،

و لهذا قال: (إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ)

أي: بسبب الرأي الميمون و الكلام الذي يجذب القلوب و يؤلف بين القرينين.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا)

أي: عالمًا بجميع الظواهر و البواطن، مطلعا على خفايا الأمور و أسرارها.

فمن علمه و خبره أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة و الشرائع الجميلة.

***قَالَ الْفُقَهَاءُ: إِذَا وَقَعَ الشِّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، أَسْكَنَهُمَا الْحَاكِمُ إِلَى:-

1- جَنْبِ ثِقَةٍ، يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِمَا،

وَ يَمْنَعُ الظَّالِمَ مِنْهُمَا مِنَ الظُّلْمِ،

2-فَإِنْ تَفَاقَمَ أَمْرُهُمَا وَ طَالَتْ خُصُومَتُهُمَا،

بَعَثَ الْحَاكِمُ ثِقَةً مَنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ، وَ ثِقَةً مِنْ قَوْمِ الرَّجُلِ،

لِيَجْتَمِعَا وَيَنْظُرَا فِي أَمْرِهِمَا،

وَ يَفْعَلَا مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ مِمَّا يَرَيَانِهِ مِنَ التَّفْرِيقِ أَوِ التَّوْفِيقِ

و تَشَوف الشَّارِعُ إِلَى التَّوْفِيقِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}

***مسند الشافعي - ترتيب سنجر

- أَخْبَرَنَا الثَّقَفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبِيدَةَ

أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ:
{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}
[النساء: 35] .
قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ وَ امْرَأَةٌ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ،
فَأَمَرَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا،
ثُمَّ قَالَ لِلْحَكَمَيْنِ:-
تَدْرِيَانِ مَا عَلَيْكُمَا إِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تَجْمَعَا وَ إِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تُفَرِّقَا،
قَالَ: قَالَتِ الْمَرْأَةُ: رَضِيتُ بِكِتَابِ اللَّهِ بِمَا عَلَيَّ فِيهِ وَلِي.
وَ قَالَ الرَّجُلُ: أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلا،
فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَذَبْتَ وَ اللَّهِ حَتَّى تُقِرَّ بِمِثْلِ الَّذِي أَقَرَّتْ بِهِ.
***و مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ الْحَكَمَيْنِ إِلَيْهِمَا الْجَمْعُ وَ التَّفْرِقَةُ،
وَ قَدِ اخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ فِي الْحُكْمَيْنِ:- هَلْ هُمَا مَنْصُوبَانِ مِنْ عِنْدِ الْحَاكِمِ،
فَيَحْكُمَانِ وَ إِنْ لَمْ يَرْضَ الزَّوْجَانِ، أَوْ هُمَا وَكِيلَانِ مِنْ جِهَةِ الزَّوْجَيْنِ؟
عَلَى قَوْلَيْنِ: فَالْجُمْهُورُ عَلَى الْأَوَّلِ؛
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}
فَسَمَّاهُمَا حَكَمَيْنِ،
وَ مِنْ شَأْنِ الْحَكَمِ أَنْ يَحْكُمَ بِغَيْرِ رِضَا الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ، وَ هَذَا ظَاهِرُ الْآيَةِ
۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ
وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ

ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

(وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ)

❍يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له،

و هو الدخول تحت رق عبوديته،

و الانقيـــــــــاد لأوامـــــــره و نـــــــــواهيه،

[محبة و ذلا و إخلاصا له،] في جميع العبادات الظاهرة و الباطنة.

❍و ينهى عن الشرك به شيئا لا شركا أصغر و لا أكبر:-

[لا ملكا و لا نبيا و لا وليا و لا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم:- [نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا،]

<u>بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمـــــــــن له:-</u>

1-الكمـــــــــال المطلق من جميع الوجوه،

2-و له التـــــــــدبير الكامل الذي لا يشركه و لا يعينه عليه أحد.

***صحيح البخاري

2856 - عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺعَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ،

فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَ مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»،
قُلْتُ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ،
قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَ لَايُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،
وَ حَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟
قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»( )

ثم بعد ما أمر بعبادته و القيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب.

فقال: (وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا)

أي: أحسنوا إليهم بـــــــ:-

1-القــــــول الكريم

2-و الخطـــــــاب اللطيف

3-و الفعـــــــل الجميل بطاعة أمرهما و اجتناب نهيهما

4-و الإنفــــــاق عليهما

5-و إكـــــــرام من له تعلق بهما

6-و صلـــــة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما.

(ردف) راكبا خلفه.

(عفير) من العفرة وهي حمرة يخالطها بياض.

(من لا يشرك به شيئا) أي وقد عبده حق عبادته بالتزام أمره واجتناب نهيه.

(فيتكلوا) فيعتمدوا على ذلك ولا يجتهدوا في الخير والطاعة

و للإحسان ضـــــــــدان:-

1-الإســـــــاءةُ

2-و عـــــــــدمُ الإحسان. و كلاهما منهي عنه.

*****كقوله﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾**لقمان: ١٤

*****﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾** الإسراء: ٢٣

(وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ)

أيضا إحسانا، و يشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أو بعدوا،

بأن يحسن إليهم بــــــــ:-

1-القـــــول و الفعــــــل،

2-و أن لا يقطـــــــــع برحمه بقوله أو فعله.

*****ثم عطف علي الاحسان اليهما الاحسان الي القربات من الرجال و النساء كما جاء في الحديث:-**

صحيح البخاري

1466 -عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: -

كُنْتُ فِي المَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ:-
«تَصَدَّقْنَ وَ لَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ»
وَ كَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَ أَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا،
قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ:
سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَ عَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟
فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى البَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلاَلٌ
فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي، وَ أَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟
وَ قُلْنَا:-لاَ تُخْبِرْ بِنَا، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ،
فَقَالَ: «مَنْ هُمَا؟» قَالَ: زَيْنَبُ،
قَالَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟»
قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ،
قَالَ: «نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ، أَجْرُ القَرَابَةِ وَ أَجْرُ الصَّدَقَةِ»( )

(وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ)

(عبد الله) بن مسعود رضي الله عنه.

(قال) الأعمش.

(حجرها) رعايتها وحضانتها.

(أيجزي) أيكفي ويقبل.

(الصدقة) الزكاة.

(امرأة) هي زوجة أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنهما]

أي: الذين فقدوا آباءهم و هم صغار،

فلهم حق على المسلمين،سواء كانوا أقارب أو غيرهم بـــــــــ:-

1-كفـــــــالتهم

2-و بـــــــــرهم

3-و جبـــــــــر خواطرهم

4-و تـــــــأديبهم،

5-و تـــــــربيتهم أحسن تربية في مصالح دينهم و دنياهم.

(وَٱلْمَسَٰكِينِ)

و هم الذين أسكنتهم الحاجة و الفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم،

و لا كفاية من يمونون،

فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بـــــــــ:-

1-ســـــــــد خلتهم

2-و بـــــــــدفع فاقتهم،

3-و الحـــــــــض على ذلك، و القيام بما يمكن منه.

(وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ)

أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار و حق القرابة،

فله على جاره حق و إحسان راجع إلى العرف.

(وَ) كذلك (وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ)

أي: الذي ليس له قرابة.

و كلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًّا،

فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بــــــــــ:-

1-الهـــــــدية

2-و الصـــــــــدقة

3-و الـــــــدعوة

4-و اللطـــــــافة بالأقوال و الأفعال

5-و عـــــــدم أذيته بقول أو فعل.

***صحيح البخاري

6014 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»( )

***سنن الترمذي ت شاكر

1944 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ،
وَ خَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»

(ظننت أنه سيورثه) توقعت أن يأتيني بأمر من الله تعالى يجعل الجار وارثا من جاره كأحد أقربائه وذلك من كثرة ما شدد في حفظ حقوقه والإحسان إليه]

(وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ)

قيل: الرفيـــــــق في السفر،

و قيل: الـــــــزوجة،

و قيل الصــــــــاحب مطلقا، و لعله أولى،

فإنه يشمل الصاحب في الحضر و السفر و يشمل الزوجة.

فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إســـــــلامه، من :-

1-مســــــاعدته على أمور دينه و دنياه،

2-و النصـــــــح له؛

3-و الـــــــوفاء معه في اليسر و العسر، و المنشط و المكره،

4-و أن يحـــــــب له ما يحب لنفسه،

5-و يكـــــــره له ما يكره لنفسه،

و كلما زادت الصحبة تأكد الحق و زاد.

(وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ)

و هو: الغريب الذي احتاج في بلد الغربة أو لم يحتج،

فله حق على المسلمين لشدة حاجته و كونه في غير وطنه بـــــــ:-

1-تبليغـــــــه إلى مقصوده أو بعض مقصوده

2-و بإكـــــــرامه

3–و تـــــــــأنيسه .

(وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ)

*****سنن ابن ماجه**

2697 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَ هُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ «الصَّلَاةَ، وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»( )

*****صحيح البخاري**

5460 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِه،

فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، أَوْ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَ عِلاَجَهُ»( )

*****صحيح البخاري**

30 -عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ،

قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَ عَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ،

(يغرغر) الغرغرة تردد الروح في الحلق.

(الصلاة) بالنصب. أي الزموها.

(ومالكت أيمانكم) أي حق المال. يريد الزكاة. وراعوا ما ملكت أيمانكم. أعني العبيد والإماء.

(ولي) تولى.

(حره) حر الطعام ورائحته أثناء طبخه.

(علاجه) تركيبه وتهيئته وإصلاحه]

فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ،
فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ،
فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ:
«يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟
إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ،
جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ،
فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ،
فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ،
وَ لْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ،
وَ لاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»( )

أي: من الآدميـــــــــن و البهائـــــــــم بالقيام بـــــــــ:-

---

1- كفـــــــــايتهم

(الربذة) موضع قريب من المدينة.
(حلة) ثوبان إزار ورداء.
(غلامه) عبده ومملوكه.
(عن ذلك) عن سبب إلباسه عبده مثل ما يلبس لأنه خلاف المعهود.
(سابت) شاتمت.
(رجلا) هو بلال الحبشي رضي الله عنه.
(فعيرته) نسبته إلى العار.
(بأمه) بسبب أمه وكانت سوداء فقال له يا ابن السوداء.
(فيك جاهلية) خصلة من خصال الجاهلية وهي التفاخر بالآباء.
(إخوانكم خولكم) الذين يخولون أموركم - أي يصلحونها - من العبيد والخدم هم إخوانكم في الدين أو الآدمية.
(تحت أرجلكم) في رعايتكم وتحت سلطانكم.
(يغلبهم) يعجزون عن القيام به]

2-و عـــــدم تحميلهم ما يشق عليهم

3-و إعــــــانتهم على ما يتحملون،

4-و تــــــأديبهم لما فيه مصلحتهم.

فمن قام بهذه المأمورات فهـــــو :-

1-الخـــــاضع لربه،

2-المتـــــواضع لعباد الله،

3-المنقـــــاد لأمر الله و شرعه،

[الذي يستحق الثواب الجزيل و الثناء الجميل]

و من لم يقم بذلك فــــإنه :-

1-عبد معــــرض عن ربه،

2-غير منقــــاد لأوامره،

3-و لا متـــــواضع للخلق،

4-بل هو متكبـــــر على عباد الله

5-معجــــب بنفسه فخور بقوله،

و لهذا قال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا)

أي: معجبا بنفسه متكبرًا على الخلق

(فَخُورًا) يثني على نفسه و يمدحها على وجه الفخر و البطر على عباد الله،
فهؤلاء ما بهم من الاختيال و الفخر [يمنعهم من القيام بالحقوق.]
***يَعُد مَا أُعْطِيَ، وَ هُوَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ. يَعْنِي:-
يَفْخَرُ عَلَى النَّاسِ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ نِعَمِهِ، وَ هُوَ قَلِيلُ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ

و لهذا ذمهم بقوله: (ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ)

أي: يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة.

(وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ) بأقوالهم و أفعالهم
***الأدب المفرد :-
296 - عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:
(مَن سَيدُكُم يَا بَني سَلَمَةَ؟)
قُلنا: جَدُ بْنُ قَيس، عَلى أنَّا نُبَخِّلَهُ.
قَالَ: (وَ أَيُ دَاءٍ أَدوَى مِنَ البُخلِ، بَلْ سَيِدُكُم: عَمرو بن الجَمُوح)
و كانَ عَمرو عَلى أَصنَامِهم فِي الجَاهِلِيةِ،
و كانَ يُولِمُ عَن رسولِ اللَّهِ ﷺ إِذا تَزوجَّ.
***صحيح مسلم
(2578) ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:
«اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَ اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،

حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَ اسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»( )

(وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ)

أي:

1–من العلـــــم الذي يهتدي به الضالون

و يسترشد به الجاهلون فيكتمونه عنهم،

2–و يظهـــــرون لهم من الباطل ما يحول بينهم و بين الحق.

فجمعـــــوا بيـــــن:–

1–البخل بالمال و البخل بالعلم،

2–و بين السعي في خسارة أنفسهم و خسارة غيرهم،

و هذه هي صفات الكافرين،

*** فَالْبَخِيلُ جَحُود لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ

1- لَا تَظْهَـــرُ عَلَيْهِ وَ لَا تَبِينُ، لَا فِي أَكْلِهِ وَ لَا فِي مَلْبَسِهِ،

2-وَ لَا فِي إِعْطَـــائِهِ وَ بَذْلِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ. وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}

(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) قال القاضي قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي شدائدهما ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات

(واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم) قال القاضي يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ويحتمل أنه هلاك الآخرة وهذا الثاني أظهر

ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة قال جماعة الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل وقيل هو البخل مع الحرص وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده]

[الْعَادِيَاتِ: 6، 7] أَيْ: بِحَالِهِ وَ شَمَائِلِهِ،
{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [الْعَادِيَاتِ: 8]
وَ قَالَ هَاهُنَا: {وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}

وَ لِهَذَا توعَّدهم بِقَوْلِهِ: (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)
وَ الْكُفْرُ هُوَ السَّتْرُ وَ التَّغْطِيَةُ،
فَالْبَخِيلُ يَسْتُرُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ يَكْتُمُهَا وَ يَجْحَدُهَا،
فَهُوَ كَافِرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ.
***سنن الترمذي ت شاكر
2819 - عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:-
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»

فلهذا قال تعالى: (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)

أي:

1-كما تكبـــــــــروا على عباد الله

2-و منعـــــــــوا حقوقه

3-و تسببــــــــــوا في منع غيرهم من البخل و عدم الاهتداء،

←أهانهم بالعذاب الأليم و الخزي الدائم.

فعياذًا بك اللهم من كل سوء.

***وَقَدْ حَمَلَ بعضُ السَّلَفِ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى بُخْلِ الْيَهُودِ بِإِظْهَارِ الْعِلْمِ الَّذِي عِنْدَهُمْ، مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺوَ كِتْمَانِهِمْ ذَلِكَ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}
وَ لَا شَكَّ أَنَّ الْآيَةَ مُحْتَمِلَةٌ لِذَلِكَ،
وَ الظَّاهِرُ أَنَّ السِّيَاقَ فِي الْبُخْلِ بِالْمَالِ،
وَ إِنْ كَانَ الْبُخْلُ بِالْعِلْمِ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى؛
فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى الْأَقَارِبِ وَ الضُّعَفَاءِ،وَكَذَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا،
وَهِيَ قَوْلُهُ: {والَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ}
فَذَكَر الْمُمْسِكِينَ الْمَذْمُومِينَ وَ هُمُ الْبُخَلَاءُ،
ثُمَّ ذَكَرَ الْبَاذِلِينَ الْمُرَائِينَ الَّذِي يَقْصِدُونَ بِإِعْطَائِهِمُ السُّمْعَةَ
وَ أَنْ يُمْدَحوا بِالْكَرَمِ، وَ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ،
وَ فِي حديث الَّذِي فِيهِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَجَّرُ بِهِمُ النَّارُ، وَهُمْ:
الْعَالِمُ وَ الْغَازِي وَ الْمُنْفِقُ، وَالْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، يَقُولُ صَاحِبُ الْمَالِ:-
مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِي سَبِيلِكَ.
فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ؛ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ. أَيْ: -
فَقَدْ أَخَذْتَ جَزَاءَكَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الَّذِي أَرَدْتَ بِفِعْلِكَ.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن
يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن
تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ
أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا
عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ
ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ
بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ
ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ
وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾

*** صحيح مسلم

(214) عَنْ عَائِشَةَ قُلْتُ: -

يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟

قَالَ: " لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ "

ثم أخبر عن النفقة الصادرة عن[رياء و سمعة و عدم إيمان به] فقـــــال:-

(وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ)

أي: ليروهم و يمدحوهم و يعظموهم

(وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ)

أي: ليس إنفاقهم صادرا عن إخلاص و إيمان بالله و رجاء ثوابه.

أي: فهذا من خطوات الشيطان و أعماله التي يدعو حزبه إليها ليكونوا من أصحاب السعير.

و صدرت منهم بسبب مقارنته لهم و أزهم إليها

فلهذا قال: (وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا)

***قال الشاعر:

عَن المَرْء لَا تَسْأل وسَلْ عَنْ قَرينه ... فكلُّ قَرينٍ بِالْمَقَارَنِ يَقْتَدي

أي: بئس المقارن و الصاحب الذي يريـــــــــد:-

1- إهـــــــــلاك من قارنه

2–و يسعـــــــــى فيه أشد السعي.

❍فكما أن من بخل بما آتاه الله، و كتم ما مَنَّ به الله عليه عاص آثم مخالف لربه،

❍فكذلك من أنفق و تعبد لغير الله فإنه آثم عاص لربه مستوجب للعقوبة،

❍لأن الله إنما أمر بطاعته و امتثال أمره على وجه الإخلاص،

كما قال تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح و الثواب

فلهذا حث تعالى عليه بقوله:

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ

وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

(وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ)

أي شيء عليهم و أي حرج و مشقة تلحقهم لو حصل منهم الإيمان بالله الذي هو الإخلاص،

(وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ)

و أنفقوا من أموالهم التي رزقهم الله

و أنعم بها عليهم فجمعوا بين [الإخلاص و الإنفاق،]

و لمَّا كان الإخلاص سرًّا بين العبد و بين ربه،

لا يطلع عليه إلا الله أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال

فقال: (وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا)

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى عن كمال عدله و فضله و تنزهه عما يضاد ذلك من الظلم القليل و الكثير

فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ)

أي: ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال تعالى:–

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

***كقوله﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾الأنبياء: ٤٧

*** صحيح مسلم

183-فيقول الله (ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ

فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ:-
رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "،
وَ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ:-
إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ
فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 40]

(وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا)

أي إلى عشرة أمثالها إلى أكثر من ذلك بحســــــــب:-

1-حــــــالها

2-و نفعهــــــــا

3-و حال صاحبهــــــا :-

1*إخــــــلاصا

2*و محبــــــة

3*و كمـــــالا

(وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا)

أي زيــــادة على ثواب العمل بنفسه مــــن :-

1-التوفيــــــق لأعمال أخر

2–و إعطـــــــاء البر الكثير و الخير الغزير

ثم قال تعالى

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا)

*** صحيح البخاري

4583 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، - قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ:

«اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَ عَلَيْكَ أُنْزِلَ؟

قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»

فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ:

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا}

[النساء: 41]

قَالَ: «أَمْسِكْ» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ

❍أي كيف تكون تلك الأحوال

و كيف يكون ذلك الحكم العظيم الذي جمع أن من حكم به:–

كـــــــامِلُ العلم

كـــــــامِلُ العدل

كـــــــامل الحكمة

بشهادة أزكى الخلق و هم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه؟

« فهذا – و الله– الحكم الذي هو أعم الأحكام و أعدلها و أعظمها.»

و هناك يبقى المحكوم عليهم مقرين له لكمال الفضل و العدل و الحمد

و الثناء

و هناك يسعد أقوام بالفوز و الفلاح و العز و النجاح

و يشقى أقوام بالخزي و الفضيحة و العذاب المهين.

و لهذا قال (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ)

أي جمعوا بين الكفر بالله و برسوله و معصيةِ الرسول

(لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ)

أي تبتلعهم و يكونون ترابا و عدمًا كما قال تعالى

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا

﴾ النبأ: ٤٠

(وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا)

أي بل يقرون له بما عملوا و تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون

يومئذ يوفيهم الله جزاءهم الحق

و يعلمون أن الله هو الحق المبين.

فأما ما ورد من أن الكفار يكتمون كفرهم و جحودهم

فإن ذلك يكون في بعض مواضع القيامة حين يظنون أن جحودهم ينفعهم من عذاب الله

فإذا عرفوا الحقائق و شهدت عليهم جوارحهم حينئذ ينجلي الأمر و لا يبقى للكتمان موضع و لا نفع و لا فائدة.

*** صحيح البخاري في-تفسير السجدة

وَقَالَ المِنْهَالُ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ:-
إِنِّي أَجِدُ فِي القُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ،
قَالَ: {فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: 101]،
{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات: 27]
{وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: 42]،
{وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23]،
فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ؟
وَقَالَ: {أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} [النازعات: 27] إِلَى قَوْلِهِ: {دَحَاهَا} [النازعات: 30]
فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ،
ثُمَّ قَالَ: {أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: 9] إِلَى قَوْلِهِ: {طَائِعِينَ} [فصلت: 11]
فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟
وَقَالَ: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 96]، {عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 56]، {سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]
فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟
فَقَالَ: {فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ} [المؤمنون: 101]:

" فِي النَّفْخَةِ الأُولَى،
ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ: {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ،
ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، {أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات: 27]
وَأَمَّا قَوْلُهُ: {مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23]،
{وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: 42]،
فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الإِخْلاَصِ ذُنُوبَهُمْ،
وَقَالَ المُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ،
فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللَّهَ لاَ يُكْتَمُ حَدِيثًا،
وَعِنْدَهُ: {يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [البقرة: 105] الآيَةَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾

ينهـــــــــى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة و هم سكارى،

(حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)

حتى يعلموا ما يقولون،

و هذا شامل لقربان مواضع الصلاة، كالمسجد،

فإنه لا يمكَّن السكران من دخوله.

و شامل لنفس الصلاة،

فإنه لا يجوز للسكران صلاة و لا عبادة، لـــــــــ:

1-اختـــــــــلاط عقله

2-و عــــــــدم علمه بما يقول،

❍و لهذا حدد تعالى ذلك و غياه إلى وجود العلم بما يقول السكران.

و هذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا،

فإن الخمر - في أول الأمر- كان غير محرم،

ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه بقوله:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا

❍ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة كما في هذه الآية،

❍ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ الآية.

❍و مع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة لـــــــــ:-

[تضمنه هذه المفسدة العظيمة]

بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو روحها و لبها و هو:-

[الخشوع و حضور القلب]

❍فإن الخمر يُسكر القلب، و يصد عن ذكر الله و عن الصلاة،

❍و يؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول و يفعل،

❍بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن:-

يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كـــــــــ:-

1-مدافعـــــــــة الأخبثين

2-و التـــــــوق لطعام و نحوه كما ورد في ذلك الحديث الصحيح.

*** صحيح البخاري

212 - عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَ هُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ،

فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَ هُوَ نَاعِسٌ، لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»( )

ثم قال: (وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ)

أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنبا،

إلا في هذه الحال و هو عابر السبيل أي:-

تمرون في المسجد و لا تمكثون فيه،

(حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ)

أي: فإذا اغتسلتم فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب،

فيحل للجنب المرور في المسجد فقط.

***<u>وَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ احْتَجَّ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّهُ :-</u>

1-يَحْرُمُ عَلَى الْجُنُبِ اللُّبْثُ فِي الْمَسْجِدِ،

2-وَ يَجُوزُ لَهُ الْمُرُورُ،

و كَذَا الْحَائِضُ وَالنُّفَسَاءُ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ

***صحيح البخاري

298 - عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: -

بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، مُضْطَجِعَةٌ فِي خَمِيصَةٍ، إِذْ حِضْتُ، فَانْسَلَلْتُ، فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حِيضَتِي،

(نعس) هجم عليه النوم.

(فليرقد) فلينم.

(لعله يستغفر) يريد أن يستغفر.

(فيسب نفسه) يدعو عليها

قَالَ: «أَنُفِسْتِ» قُلْتُ: نَعَمْ، فَدَعَانِي، فَاضْطَجَعْتُ مَعَهُ فِي الخَمِيلَةِ( )

(وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ) .

فأباح التيمم للمريض مطلقًا مع وجود الماء و عدمه،

و العلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء،

(أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ)

و كذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء،

فإذا فقده المسافر أو وجد ما يتعلق بحاجته من شرب و نحوه،

←جاز له التيمم.

(أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟)

❍و كذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء،

فإنه يباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضرًا و سفرًا

كما يدل على ذلك عموم الآية.

❍و الحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حـــــــــالتين:-

(خميصة) ثوب مربع من خز أو صوف.

(فانسللت) ذهبت في خفية.

(ثياب حيضتي) الثياب التي أعددتها لألبسها حالة الحيض.

(الخميلة) هي الخميصة أو هي ثوب له خمل وهدب]

1–حال عدم الماء، و هذا مطلقا في الحضر و السفر،

2–و حال المشقة باستعماله بمرض و نحوه.

❍و اختلف المفسرون في معنى قوله:–

﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ هل المراد بذلك: الجماع

فتكون الآية نصا في جواز التيمم للجنب،

كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة؟

أو المراد بذلك مجرد اللمس باليد،

و يقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي،

و هو المس الذي يكون لشهوة فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك؟

❍و استدل الفقهاء بقوله: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾ بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قـــــالوا:–

لأنه لا يقال: « لم يجد » لمن لم يطلب،

بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب،

❍و استدل بذلك أيضا على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾

و هذا ماء.

و نوزع في ذلك أنه ماء غير مطلق و في ذلك نظر.

❍و في هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، [و هو مشروعية التيمم،]

❍و قد أجمع على ذلك العلماء و لله الحمد،

❍و أن التيمم يكون بالصعيد الطيب، و هــــــــو :-

كل ما تصاعد على وجه الأرض سواء كان له غبار أم لا

و يحتمل أن يختص ذلك بذي الغبار لأن الله قال:

(صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم)

و ما لا غبار له لا يمسح به.

و قوله: (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ)

هذا محل المسح في التيمم:-

الوجه جميعه و اليدان إلى الكوعين،

كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة،

❍و يستحب أن يكون ذلك بضربة واحدة،

كما دل على ذلك حديث عمار،

و فيه أن تيمم الجنب كتيمم غيره، بالوجه و اليدين.

فــــــائدة :-

اعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاث قواعـــــــــد: -

1-حفــــــــظ الصحة عن المؤذيات،

2-و الاستفــــــراغ منها،

3-و الحميــــــــة عنها.

و قد نبه تعالى عليها في كتابه العزيز.

❍أما حفظ الصحة و الحمية عن المؤذي فقــــــــد:-

1-أمر بالأكل و الشرب و عدم الإسراف في ذلك،

2-و أباح للمسافر و المريض الفطر حفظا لصحتهما،

باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل، و حماية للمريض عما يضره.

❍و أما استفراغ المؤذي :-

فقد أباح تعالى للمحْرِم المتأذي برأسه أن يحلقه لإزالة الأبخرة المحتقنة فيه،

ففيه تنبيه على استفراغ ما هو أولى منها من :-

البول و الغائط و القيء و المني و الدم، و غير ذلك،

نبه على ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى.

❍و في الآية وجوب تعميم مسح الوجه و اليدين،

و أنه يجوز التيمم و لو لم يضق الوقت،

و أنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب والله أعلم.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

أي: كثير العفو و المغفرة لعباده المؤمنين،

بتيسيـــــــــــــر ما أمرهم به،

و تسهيـــــــــــله غاية التسهيل،

بحيث لا يشق على العبد امتثاله، فيحرج بذلك.

و من عفـــــــــوه و مغفـــــــــرته أن:-

1-رَحِمَ هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله.

2-و من عفوه و مغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة و الإنابة و دعاهم إليه و وعدهم بمغفرة ذنوبهم.

3-و من عفوه و مغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا، لأتاه بقرابها مغفرة.

*** صحيح البخاري

344 - عَنْ عِمْرَانَ بن حصين قَالَ:

كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى اسْتَيْقَظَ بِصَوْتِهِ النَّبِيُّ ﷺ.......

فَارْتَحَلَ،فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ،

ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوَضُوءِ، فَتَوَضَّأَ، وَ نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ،

فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ،
قَالَ: «مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟»
قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَ لَا مَاءَ،
قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ، فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ»،
ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ،

***صحيح مسلم

(522) عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ"
فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ:-
1-جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ،
2-وَ جُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا،
3-وَ جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ "

***صحيح البخاري

338 - عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ،
فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أُصِبِ المَاءَ،
فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ:-
أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَ أَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ،
وَ أَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا» فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، وَ نَفَخَ فِيهِمَا،
ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَ كَفَّيْهِ( )

(فلم أصب الماء) لم أجده.

(فتمعكت) تمرغت وتقلبت في التراب حتى يصيب جميع بدني.

***صحيح البخاري

347 - عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدِ المَاءَ شَهْرًا، أَمَا كَانَ يَتَيَمَّمُ وَ يُصَلِّي، فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} [النساء: 43]

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي هَذَا لَأَوْشَكُوا إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمُ المَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا الصَّعِيدَ. قُلْتُ: وَ إِنَّمَا كَرِهْتُمْ هَذَا لِذَا؟

قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ: -

بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ المَاءَ، فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ،

فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: -

«إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا، فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ نَفَضَهَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ» فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ؟( )

***صحيح البخاري

335 - عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: -

" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: -

(ونفخ فيهما) تخفيفا للتراب المحمول بهما.

(وكفيه) أي إلى الرسغين وهو مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وعند غيره لا بد من المسح إلى المرفقين]

(تمرغت) تقلبت. (نفضها) هزها أو نفخ فيها تخفيفا للتراب.

(ثم مسح بها وجهه) الظاهر أن المراد ب - " ثم " هنا الجمع وليس الترتيب لما دلت عليه الروايات الأخرى.

(لم يقنع) ووجه عدم اقتناعه أنه كان معه في تلك الحادثة ولم يتذكر أصلا]

1-نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،
2-وَ جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَ طَهُورًا،
فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ،
3-وَ أُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَ لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
4-وَ أُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ،
5-وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "( )

ذكر سبب نزول مشروعية التيمم:

صحيح البخاري

334 - عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ:-
خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ،
حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي،
فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ،
وَ أَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَ لَيْسُوا عَلَى مَاءٍ،
فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ،
فَقَالُوا: أَ لاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟
أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ النَّاسِ وَ لَيْسُوا عَلَى مَاءٍ،
وَ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ
وَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ،

(نصرت بالرعب) هو الخوف يقذف في قلوب أعدائي.
(مسيرة شهر) أي بيني وبينه مسيرة شهر.
(المغانم) جمع مغنم وهو الغنيمة وهو كل ما يحصل عليه المسلمون من الكفار قهرا]

فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَ النَّاسَ، وَ لَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ،
فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ،
وَ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَ جَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي،
فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي،
«فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا»،
فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ.
قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ( )

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ) هذا ذم لمن

(أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ)

و في ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، .

و الوقوع في أشراكهم،

(بالبيداء أو بذات الجيش) موضعان بين مكة والمدينة وقيل البيداء أدنى إلى مكة من ذي الحليفة.
(عقد) كل ما يعقد ويعلق في العنق
(التماسه) طلبه والبحث عنه.
(وليسوا على ماء) ليس في المكان الذي أقاموا فيه ماء. (يطعنني) يضربني برؤوس أصابعه.
(ما هي بأول بركتكم) ليس هذا أول خير يكون بسببكم والبركة كثرة الخير]

فأخبر أنهم في أنفسهم

(يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ)

أي: يحبونها محبة عظيمة و يؤثرونها إيثار من يبذل المال الكثير في طلب ما يحبه.

فيـــــــؤثرون :-

الضلال على الهدى،

و الكفر على الإيمان،

و الشقاء على السعادة،

و مع هذا (وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ) .

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ
ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا
بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ
وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ
أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن
يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾
ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ
ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا

بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

(وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ)

*الميسر:

و الله سبحانه وتعالى أعلم منكم -أيها المؤمنون- بعداوة هؤلاء اليهود لكم،

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا)و كفى بالله وليّا يتولاكم،

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا)و كفى به نصيراً ينصركم على أعدائكم.

(مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ)

*تبديل كلام الله

❍جحدوا لذلك الحق، و أما حالهم في العمل و الانقياد :-

(وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا)

أي: سمعنا قولك

(وَعَصَيْنَا) أمرك،

و هذا غاية الكفر و العناد و الشرود عن الانقياد،

و كذلك يخاطبون الرسول ﷺ بأقبح خطاب و أبعده عن الأدب فيقولون: -

(وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ)

قصدهم: اسمع منا غير مُسْمع ما تحب، بل مسمع ما تكره،

(وَرَٰعِنَا)

*راعنا سمعك افهم عنا و افهمنا

-قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح،

و يظنون أن اللفظ - لمَّا كان محتملا لغير ما أرادوا من الأمور-

أنه يروج على الله و على رسوله ﷺ

فتوصلوا بذلك اللفظِ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين و العيب للرسول،

و يصرحون بذلك فيما بينهم،

فلهذا قال: (لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ) .

***كقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ البقرة: ١٠٤

ثم أرشدهم إلى ما هو خير لهم من ذلك فقـــــــــال: -

(وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ)

*دون (غير مسمع)

(وَٱنظُرۡنَا)

*بدل (راعنا)

(لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ)

(وَأَقۡوَمَ)

*أعدل قولا

و ذلك لما تضمنه هذا الكلام مــــــــن:-

1-حســــــــن الخطاب

2-و الأدب الـــــــلائق في مخاطبة الرسول،

3-و الـــــــدخول تحت طاعة الله و الانقياد لأمره،

4-و حســــــــن التلطف في طلبهم العلم بسماع سؤالهم،

5-و الاعتنـــــــاء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه.

و لكن لما كانت طبائعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك،

و طردهم الله بكفرهم و عنادهم،

و لهذا قال: (وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ)

*الميسر :و لكن الله طردهم من رحمته؛ بسبب كفرهم وجحودهم نبوة محمد ﷺ،

(فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)فلا يصدقون بالحق إلا تصديقاً قليلا لا ينفعهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم)

يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن:-

1-يؤمنـــــــــوا بالرسول محمدﷺ

2-و ما أنزل الله عليه من القرآن العظيم،

[المهيمن على غيره من الكتب السابقة التي قد صدقها]

فإنها أخبرت به فلما وقع المخبر به كان تصديقا لذلك الخبر.

❍و أيضا فإنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فإنهم لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب،

لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، و يوافق بعضها بعضًا.

فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض دعوى باطلة لا يمكن صدقها.

و في قوله: (آمِنُوا بِمَا نزلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ)

حث لهم و أنهم ينبغي أن يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، و الكتاب الذي يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم،

و لهذا توعدهم على عدم الإيمان

فقال: (مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهًا)

و هذا جزاء من جنس ما عملوا، كما تركوا الحق،

و آثـــــــروا الباطل و قلبوا الحقائق،

فـــــــجعلوا الباطل حقا و الحق باطلا

جـــــــوزوا من جنـــــــس ذلك بـــــــ:-

1-طمـــــــس وجوههم كما طمسوا الحق، ((*محو الوجوه)))**

2-و ردهـــــــا على أدبارها،[بأن تجعل في أقفائهم]

(((*نحولها قِبل الظهور)))**

وهذا أشنع ما يكون (أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ)

بأن يطردهم من رحمته، و يعاقبهم بجعلهم قردة،

كما فعل بإخوانهم الذين اعتدوا في السبت

﴿ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ البقرة: ٦٥

(وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا)

كقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ يس: ٨٢

***إذا أراد شيئا فإنه لا يُخالف و لا يمانع

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ

وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ)

يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين،

و يغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها و كبائرها،

و ذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه.

○فالذنوب التي دون الشرك

قد جعل الله لمغفرتهـــــا أسبـــــابا كثيـــــرة، كـــــــ:-

1-الحسنـــــات الماحية

2-و المصــــــائب المكفرة في الدنيا،

3-و البــــــرزخ

4-و يوم القيـــــامة،

5-و كـــــدعاء المؤمنين بعضهم لبعض،

6–و بشفـــــاعة الشافعين.

7–و من فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان و التوحيد.

و هذا بخلاف الشرك فإن المشـــــــرك:–

1– قد ســــــد على نفسه أبواب المغفرة،

2–و أغلـــــق دونه أبواب الرحمة،

فـــلا تنفعـــــه :–

1–الطـــــاعات من دون التوحيد،

2–و لا تفيــــده المصائب شيئا،

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨

***وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة منها:

صحيح البخاري

5827 - عن أَبَي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ:

أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَ هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: " مَا منْ عَبْدٍ قَالَ:-

لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ "

قُلْتُ:وَ إِنْ زَنَى وَ إِنْ سَرَقَ؟

قَالَ: «وَ إِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَ إِنْ زَنَى وَ إِنْ سَرَقَ؟

قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَ إِنْ زَنَى وَ إِنْ سَرَقَ؟
قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»
وَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا
قَالَ: وَ إِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:-
هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَ نَدِمَ
وَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ

❍ و لهذا قال تعالى (وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا)

أي افترى جرما كبيرا

و أي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق – من تراب الناقص من جميع الوجوه

الفقير بذاته من كل وجه

الذي لا يملك لنفسه– فضلا عمن عبده – :–

[نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا]–

بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه

الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده :–

[النفع و الضر و العطاء و المنع]

الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى

فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟

و لهذا حَتَّم على صاحبه بالخلود بالعذاب و حرمان الثواب

(إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ)

❍و هذه الآية الكريمة في حق غير التائب

–و أما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى:–

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)

أي لمن تاب إليه و أناب.

***﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾لقمان: ١٣

*****صحيح البخاري**

4477 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ:

" أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟

1-قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَ هُوَ خَلَقَكَ».

قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

2-قَالَ: «وَ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ».

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

3-قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»( )

(أعظم) أكثر إثما وعقابا. (ندا) شريكا والند المثل والنظير. (أن يطعم معك) أن يأكل معك وهو عنوان شدة البخل المتنافي مع الإيمان إلى جانب الإخلال باعتقاد أن الله تعالى هو الرزاق مع فظاعة قتل النفس بغير حق وكلها آثام تستحق العقاب الشديد. (تزاني) تزني فيها برضاها وهذا يدل على أنه سلك معها مسالك الخداع حتى أغراها به وأفسد على زوجها فراشه واستقراره. (حليلة) زوجة سميت بذلك لأنها تحل له]

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

***صحيح مسلم

(3002) عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ،
فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ،
وَقَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»( )

*** صحيح البخاري

2662 -عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ،
قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،
فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا،
ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ،
فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ،
وَ لاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَ كَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»( )

هذا الحديث قد حمله على ظاهره المقداد الذي هو راويه ووافقه طائفة وكانوا يحثون التراب في وجهه حقيقة وقال آخرون معناه خيبوهم فلا تعطوهم شيئا لمدحهم]

(أثنى) مدح.
(ويلك) الويل الحزن والهلاك ويستعمل بمعنى التفجع والتعجب.
(قطعت عنق صاحبك) تسببت بهلاكه لأنه ربما أخذه العجب بسبب مدحك له.
(مرارا) أي كرر قوله مرات.
(لا محالة) لا بد منه ألبتة.
(أحسب) أظن.
(حسيبه) كافيه.
(لا أزكي على الله أحدا) لا أقطع له ولا أجزم على عاقبة أحد بخير أو غيره]

(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ)

*التفسير الميسر:يُثنون على أنفسهم و أعمالهم،

و يصفونها بالطهر و البعد عن السوء؟

***و اتِّكَالِهِمْ عَلَى أَعْمَالِ آبَائِهِمُ الصَّالِحَةِ،

هـــــــــــذا:-

1-تعجيـــــــــب من الله لعباده،

2-و توبيـــــــــخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصارى،

و من نحــــــا نحوهم مــــــــن:-

كل من زكى نفسه بأمر ليس فيه.

و ذلك أن اليهود والنصارى يقولون: -

(نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)

و يقولون: (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)

و هذا مجرد دعوى لا برهان عليها،

و إنما البرهان ما أخبر به في القرآن في قوله:

(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)

فهؤلاء هم الذين زكاهم الله

و لهذا قال هنا: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾

***لأنه عالم بحقائق الأمور و غوامضها

أي: بالإيمـــــــان و العمل الصالح بـــــــــ:-

1-التخـــــــلي عن الأخلاق الرذيلة،

2-و التحـــــلي بالصفات الجميلة.

و أما هؤلاء فهم – و إن زكوا أنفسهم بزعمهم أنهم على شيء،

و أن الثواب لهم وحدهم- فإنهم كذبة في ذلك،

ليس لهم من خصال الزاكين نصيب، بسبــــــــــب:-

1- ظلمهـــــــــم

2-و كفـــــــــرهم لا بظلم من الله لهم،

و لهذا قال: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾

و هذا لتحقيق العموم أي:-

1-لا يظلمون شيئا و لا مقدار الفتيل الذي في شق النواة

2-أو الذي يفتل من وسخ اليد و غيرها.

قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾

* الميسر : كيف يختلقون على الله الكذب،

أي: بتزكيتهم أنفسهم، لأن هذا من أعظم الافتراء على الله.

لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقا

و ما عليه المؤمنون المسلمون باطلا.

و هذا أعظم الكذب و قلب الحقائق بجعل الحق باطلا و الباطلِ حقًّا.

❍و لهذا قال: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾

أي: ظاهرا بينا موجبا للعقوبة البليغة و العذاب الأليم.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾

*الصحيح المسند من أسباب النزول

ابن جرير عن ابن عباس قال:

لما قَدِمَ كعب بن الأشرف مكة

قالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم،

قال: نعم، قالوا ألا ترى إلى هذا الصنبور (1) المنبتر من قومه

يزعم أنه خير منا و نحن أهل الحجيج و أهل السدانة،

---

(1) الصنبور: الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر واللئيم.

و أهل السقاية، قال: أنتم خير منه،

قال: فأنزلت: {إِنّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} .

وأنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ} إلى قوله: {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} .

❍و هذا من قبائح اليهود و حسدهم للنبي ﷺو المؤمنين،

أن أخلاقهم الرذيلة و طبعهم الخبيث، حملهـــــــم علـــــــى:-

1-تـــــــرك الإيمان بالله و رسوله،

2-و التعــــــــوض عنه بالإيمان بالجبت و الطاغوت،

[و هو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله.](1)

☼فدخــــــل في ذلــــــك:-

1-السحــــــر

2-و الكهــــــانة،

3-و عبــــــادة غير الله،

4-و طاعــــــة الشيطان،

أيسر التفاسير :الجبت: اسم لكل ما عبد من دون الله وكذا الطاغون سواء كانا صنمين أو رجلين.

1 وقيل: الجبت: الساحر بلغة الحبشة،

والطاغوت: الكاهن. عن ابن عباس وأبي جبير وأبي العالية،

وقال عمر رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقال مالك: الطاغوت ما عبد من دون الله.

وقيل: هما كل ما عبد من دون الله أو مطاع في معصية الله. وهذا حسن وهو ما ذكرناه في التفسير.

كل هذا من الجبت و الطاغوت،

و كذلك حَمَلهم الكفر والحسد على أن:–

[فضلوا طريقة الكافرين بالله – عبدة الأصنام– على طريق المؤمنين]

فقال: (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ)

أي: لأجلهم تملقا لهم و مداهنة، و بغضا للإيمان:

(هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا)

أي: طريقا. فما أسمجهم و أشد عنادهم و أقل عقولهم!

- **كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم و الوادي الذميم؟**
- **هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء،**
- **أو يدخل عقلَ أحد من الجهلاء،**
- **فهل يُفَضَّـــــــــل دين قـــــــام على :–**

1–عبـــــــادة الأصنام و الأوثان،

2–و استقـــــــــام على تحريم الطيبات،

3–و إبـــــــاحة الخبائث،

4–و إحـــــــلال كثير من المحرمات،

5–و إقــــــامة الظلم بين الخلق،

6–و تســــــوية الخالق بالمخلوقين،

7-و الكـــــفر بالله و رسله و كتبه،

على ديــــــن قــــام علـــــى:-

1-عبـــــادة الرحمن،

2-و الإخـــــلاص لله في السر و الإعلان،

3-و الكفــــــر بما يعبد من دونه من الأوثان و الأنداد و الكاذبين،

4-و على صلة الأرحـــــام و الإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم،

5-و إقامة العــــــدل و القسط بين الناس،

6-و تحـــــريم كل خبيث و ظلم،

7-و الصـــــدق في جميع الأقوال و الأعمال،

فهل هذا إلا من الهـــــذيان،و **صاحب هذا القـــــول:-**

1-إما من أجهل الناس و أضعفهم عقلا

2-و إما من أعظمهم عنادا و تمردا و مراغمة للحق، و هذا هو الواقع .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

و لهذا قال تعالى عنهم: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ)

أي: طردهم عن رحمته و أحل عليهم نقمته.

(وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا)

أي: يتولاه و يقوم بمصالحه و يحفظه عن المكاره، و هذا غاية الخذلان.

(أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ)

أي: فيفضِّلون من شاءوا على من شاءوا بمجرد أهوائهم،

فيكونون شركاء لله في تدبير المملكة،

فلو كانوا كذلك لشحوا و بخلوا أشد البخل،

و لهذا قال: (فَإِذًا) أي: لو كان لهم نصيب من الملك

(لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا)

أي: شيئًا و لا قليلا.

و هذا وصف لهم بشدة البخل على تقدير وجود ملكهم المشارك لملك الله.

و أخرج هذا مخرج الاستفهام المتقرر إنكاره عند كل أحد.

*** لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْمُلْكِ وَ التَّصَرُّفِ لَمَا أَعْطَوْا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ
-وَ لَا سِيَّمَا مُحَمَّدًا ﷺ-شَيْئًا، وَ لَا مَا يَمْلَأُ "النَّقِيرَ":-
وَ هُوَ النُّقْطَةُ الَّتِي فِي النَّوَاةِ،

***كقوله﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ

ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾الإسراء: ١٠٠

(أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ)

أي: هل الحامل لهم على قولهم كونهم شركاءَ لله فيفضلون من شاءوا؟

أم الحامل لهم على ذلك الحسدُ للرسول و للمؤمنين على ما آتاهم الله من

فضله؟

***لكونه من العرب و ليس من بني اسرائيل
و ذلك ليس ببدع و لا غريب على فضل الله.

(فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا)

و ذلك ما أنعم الله به على إبراهيم و ذريته مـــــــــن:-

[النبوة و الكتاب و الملك]

الذي أعطاه من أعطاه من أنبيائه ك « داود » و « سليمان » .

فإنعامه لم يزل مستمرًا على عباده المؤمنين.

❍فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة و النصر و الملك لمحمد ﷺأفضل الخلق و أجلهم و أعظمهم معرفة بالله و أخشاهم له؟

(فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ)

أي: بمحمد ﷺفنال بذلك السعادة الدنيوية و الفلاح الأخروي.

(وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ)

عنادًا و بغيًا و حسدًا فحصل لهم من شقاء الدنيا و مصائبها ما هو بعض آثار معاصيهم

(وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) تسعر على من كفر بالله،

و جحد نبوة أنبيائه من اليهود و النصارى و غيرهم من أصناف الكفرة.

و لهذا قال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا)

أي: عظيمة الوقود شديدة الحرارة

(كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم) أي: احترقت

(بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ)

أي: ليبلغ العذاب منهم كل مبلغ.

و كما تكرر منهم الكفر و العناد و صار وصفا لهم و سجية؛

كرر عليهم العذاب جزاء وِفاقا،

و لهذا قال: (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا)

أي: له العزة العظيمة و الحكمة في خلقه و أمره، و ثوابه و عقابه.

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي: بالله و ما أوجب الإيمانَ به

(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) من الواجبات و المستحبات

(سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ)

أي: من الأخلاق الرذيلة، و الخلْق الذميم،

و مما يكون من نساء الدنيا من كل دنس و عيب

(وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا) .

***ظلا عميقا كثيرا غزيرا طيبًا أنيقا

*** صحيح البخاري

3251 - عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: -

«إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا»

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩

(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ)

الأمانات:- كل ما ائتمن عليه الإنسان و أمر بالقيام به.

فأمر الله عباده بأدائها أي:-

كاملة موفرة، لا منقوصة و لا مبخوسة، و لا ممطولا بها،

و يدخل في ذلك أمانـــــــات:-

1-الـــــــولايات

2-و الأمـــــــوال

3-و الأســـــــرار؛

4-و المـــــــأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله.

❍و قد ذكر الفقهاء على أن من اؤتمن أمانة وجب عليه حفظها في حرز مثلها.

قالوا: لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك.

وفي قوله: (إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا)

دلالة على أنها لا تدفع و تؤدى لغير المؤتمِن، و وكيلُه بمنزلته؛

فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديا لها.

***وَ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ كَالْوَدَائِعِ
وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتَمِنُونَ بِهِ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ اطِّلَاعِ بَيِّنَةٍ عَلَى ذَلِكَ.
فَأَمَرَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِأَدَائِهَا،
فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أُخِذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ في صحيح مسلم :-
(2582) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:
«لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»

(وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ)

و هذا يشمل الحكم بينهم في[الدماء و الأموال و الأعراض]

القليل من ذلك و الكثير،

على القـــــــريب و البعيد،

و البـــــــر و الفاجر،

و الـــــــولي و العدو.

و المراد بالعـــــــدل الذي أمر الله بالحكم به هــــــــو:-

[ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود و الأحكام،]

و هذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به.

و لما كانت هذه أوامر حسنة عادلة

قال: (إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا)

و هذا مدح من الله لأوامره و نواهيه،

لاشتمالها على مصالح الدارين و دفع مضارهما،

لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية،

و يعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون.

***سنن أبي داود

4728 - عن أَبِي يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ،
قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ
{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: 58] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى
{سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]
قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَ الَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ»،
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا وَ يَضَعُ إِصْبَعَيْهِ».

قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ،
يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَ بَصَرًا قَالَ أَبُو دَاوُدَ:- «وَ هَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ»

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ)

***صحيح البخاري

4584 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59]،
قَالَ:«نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ
إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺفِي سَرِيَّةٍ»( )

***صحيح البخاري

7145 - عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: -
بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺسَرِيَّةً، وَ أَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَ أَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ،
فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ،
وَ قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺأَنْ تُطِيعُونِي؟
قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا،
وَ أَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا،
فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ،
فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ،
قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺفِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا؟
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَ سَكَنَ غَضَبُهُ،

(أولي الأمر) الحكام والرؤساء. (منكم) من المسلمين القائمين بحدود الله تعالى (سرية) قطعة من الجيش

فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:
«لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»( )
*****صحيح البخاري**

2955 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:
«السَّمْعُ وَ الطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ،
فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَ لاَ طَاعَةَ»
*****صحيح البخاري**

7055 - عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَ هُوَ مَرِيضٌ،
قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺفَبَايَعْنَاهُ،
7056 - فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا:-أَنْ بَايَعَنَا عَلَى:-
1-السَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَ مَكْرَهِنَا، وَ عُسْرِنَا وَ يُسْرِنَا وَ أَثَرَةً عَلَيْنَا،
2-وَ أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا،
عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»( )
*****صحيح البخاري**

(عزمت عليكم) آمركم وأؤكد أمري لكم وأجد فيه. (ما خرجوا. .) لأن الدخول فيها معصية فإذا استحلوها كفروا واستحقوا الخلود فيها وهذا جزاء من جنس العمل. (الطاعة) للأمر واجبة. (المعروف) هو ما لا يتنافى مع الشرع]

(أصلحك الله) كلمة اعتادوا أن يقولوها عند الطلب أو المراد الدعاء له بإصلاح جسمه ليعافى من مرضه.
(أخذ علينا) اشترط علينا. (على السمع والطاعة) لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. (منشطنا) حالة نشاطنا. (مكرهنا) في الأشياء التي نكرهها وتشق علينا. (أثرة علينا) استئثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم أي ولو منعنا حقوقنا. (الأمر) الملك والإمارة. (كفرا) منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فتكون المنازعة بالإنكار عليهم. أو كفرا ظاهرا فينازعون بالقتال والخروج عليهم وخلعهم. (بواحا) ظاهرا وباديا. (برهان) نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل]

693 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»( )

***صحيح مسلم

(1298) عَنْ أُمِّ الْحُصَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُهَا تقُـــولُ:-
حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ،
فَرَأَيْتُهُ حِينَ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، وَ انْصَرَفَ وَ هُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ
وَ مَعَهُ بِلَالٌ وَ أُسَامَةُ أَحَدُهُمَا يَقُودُ بِهِ رَاحِلَتَهُ،
وَ الْآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّمْسِ، قَـــالَتْ: -
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلًا كَثِيرًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:
«إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ - أَسْوَدُ،
يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا»( )

***صحيح البخاري

3455 - عن أَبِي حَازِمٍ، قَالَ:-
قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: -
«كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ،

(استعمل) جعل واليا أو غيره.

(حبشي) نسبة إلى الحبش وهم نوع من السودان.

(رأسه زبيبة) هي حبة العنب اليابسة والتشبيه من حيث السواد وقصر الشعر وشدة تجعده وصغره وغير ذلك مما يحتقر عادة لدى الناس

(عبد مجدع) أي مقطع الأعضاء والتشديد للتكثير وإلا فالجدع قطع الأنف والأذن والشفة والذي قطع منه ذلك أجدع والأنثى جدعاء والمقصود التنبيه على نهاية خسته فإن العبد خسيس في العادة ثم سواده نقص آخر وجدعه نقص آخر ومن هذه الصفات مجموعة فيه فهو في نهاية الخسة والعادة أن يكون ممتهنا في أرذل الأعمال

كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَ إِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَ سَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ»
قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: -
«فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ،
فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»( )

ثم أمر بطاعته و طاعة رسوله و ذلك بـــــــــ:-

1-امتثـــــــال أمرهما، الواجب و المستحب،

2-و اجتنــــــاب نهيهما.

و أمر بطاعة أولي الأمر و هم:- الولاة على الناس، مـــــــن:-

1-الأمـــــــراء

2-و الحكـــــــام

3-و المفتيـــــــن،

فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم و دنياهم إلا بطاعتهم و الانقياد لهم،

طاعة لله و رغبة فيما عنده،

و لكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله،

فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(تسوسهم) تتولى أمورهم والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه. (فيكثرون) أي يكون أكثر من حاكم واحد للمسلمين في زمن واحد. (فوا) من الوفاء. (ببيعة الأول فالأول) أي إن الذي تولى الأمر وبويع قبل غيره هو صاحب البيعة الصحيحة التي يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها مطلقا. (أعطوهم حقهم) أطيعوهم في غير معصية. (سائلهم) محاسبهم بالخير والشر عن حال رعيتهم]

و لعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم و ذكره مع طاعة الرسول،

فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله،

و من يطعه فقد أطاع الله،

(وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ)

و أما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.

***أهل الفقه و الدين أو العلماء

وَ الظَّاهِرُ -وَ اللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّ الْآيَةَ فِي جَمِيعِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ و الْعُلَمَاءِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى: {لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} [الْمَائِدَةِ:63]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النَّحْلِ:43]

صحيح البخاري

7137 - أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَ مَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ،

وَ مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَ مَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»( )

فَهَذِهِ أَوَامِرٌ بِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَ الْأُمَرَاءِ،

و لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {أَطِيعُوا اللَّهَ} أَيْ:- اتَّبِعُوا كِتَابَهُ

{وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} أَيْ: خُذُوا بِسُنَّتِهِ

{وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ} أَيْ: فِيمَا أَمَرُوكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ لَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:-

"إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ".

(فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ)

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من[أصول الدين و فروعه]

إلى الله و إلى رســــــــوله

أي: إلى كتاب الله و سنة رسوله؛

فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إمـــــــا :-

1-بصريحهمــــــــا

2-أو عمومهمــــــــا؛

3-أو إيمــــــــاء،

(أميري) هو كل من يتولى على المسلمين ويعمل فيهم بما شرعه رسول الله ﷺ]

4–أو تنبيـــــــــــه،

5–أو مفهـــــــــــوم،

6–أو عمـــــــــــوم معنى يقاس عليه ما أشبهه،

لأن كتاب الله و سنة رسوله عليهما بناء الدين،

و لا يستقيم الإيمان إلا بهما.

فالرد إليهما شرط في الإيمان

***كقوله** ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ الشورى: ١٠

فلهذا قال: (إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ)

فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة،

بل مؤمن بالطاغوت (((*فليس مؤمنا بالله و لا باليوم الآخر)))**

كما ذكر في الآية بعدها (ذَٰلِكَ)

أي: الرد إلى الله و رسوله

(خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا)

فإن حكم الله و رسوله أحسن الأحكام و أعدلها و أصلحها للناس في أمر دينهم و دنياهم و عاقبتهم.

***أحسن عاقبة و مآلا

الإحساس بالألم بين الطب والقرآن

د. سالم عبدالله المحمود

كان الاعتقاد السائد منذ عدة قرون أن الجسم كله حساس للآلام، ولم يكن واضحًا لأحد يومذاك أن هناك أعصابًا متخصصة في جسم الإنسان لنقل أنواع الألم، حتى كشف علم التشريح اليوم دور النهايات العصبية المتخصصة في نقل أنواع الآلام المختلفة.

وسنرى فيما يعرضه هذا البحث من الحقائق العلمية ما يناقض ذلك الاعتقاد الذي كان سائدًا وقت التنزيل وإلى زمن قريب جدًّا. وبمقارنة تلك الحقائق العلمية مع ما ورد في القرآن الكريم من الإشارات العلمية حول الجلد وكونه مختصًّا بنقل الإحساسات المتنوعة، يتأكد لنا أن هذا القرآن الكريم هو كلام الله خالق الكون ومبدع الإنسان، وأنه هو الذي أوحى بتلك الحقائق إلى نبيه محمد ـ عليه الصلاة والسلام.

النصوص التي وردت في الموضوع:

قال الله ـ تعالى ـ عن عذاب الكافرين يوم القيامة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء: 56).

وقال تعالى: (وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ) (محمد: 15).

تفسير الآية الأولى:

قال الطبري في تأويل قوله تعالى: (سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا) سوف ننضجهم في نار يُصلَوْن فيها، أي يشوون فيها، (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم) كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت (بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) يعني غير الجلود التي قد

نضجت فانشوت (لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ) فعلنا ذلك بهم ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته بما كانوا في الدنيا يكذبون آيات الله ويجحدونها(1).

وقال الزمخشري: ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع، كقولك للعزيز: (أعزك الله؛ أي أدامك على عزك وزادك فيه)(2).

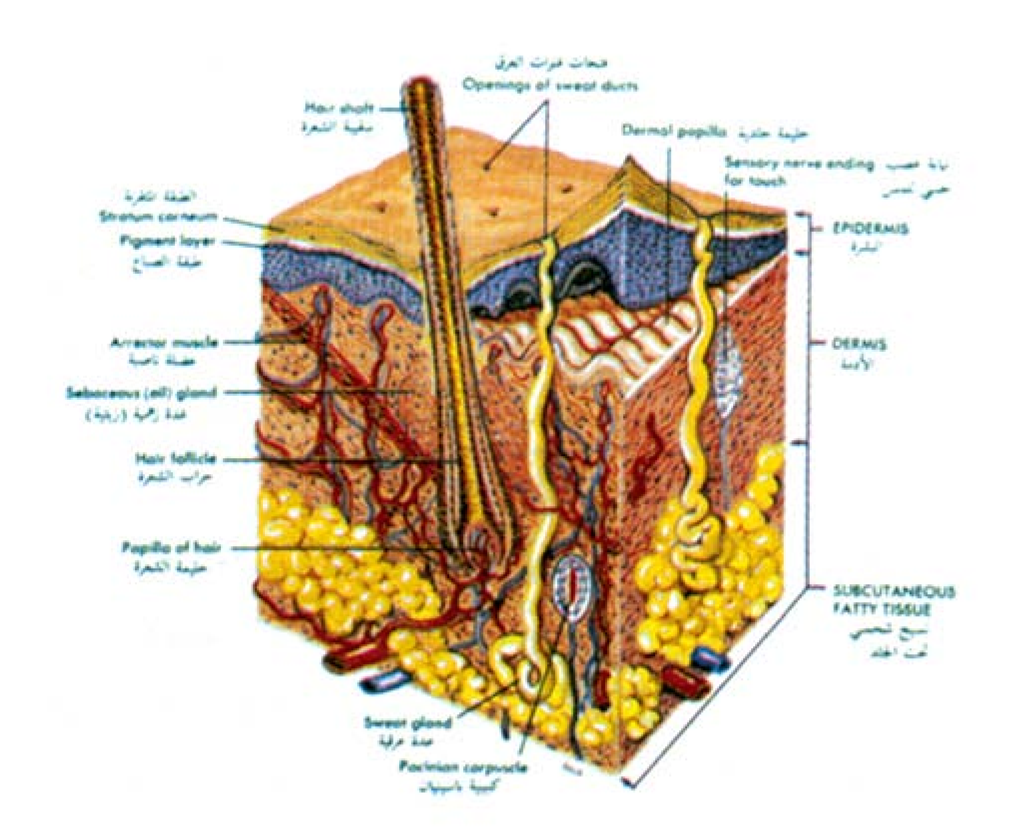
تفسير الآية الثانية:

قال القرطبي: (وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا) أي حارًّا شديد الغليان إذا دنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم وأخرجها من أدبارهم.

والأمعاء: جمع معي، والتثنية: معيان، وهو جميع ما في البطن من الحوايا(3).

وقال الطبري: وسقي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حره فقطع ذلك الماء من شدة حره أمعاءهم(4)، كما ذكر مثله الشوكاني في فتح القدير(5) وابن كثير في تفسيره(6).

الجلد و عذاب النار



الحقائق العلمية حول الجلد:

إذا ألقينا نظرة على خارطة الجلد نجد قدرة الخالق ـ جل وعلا ـ تتجلى في الشكل البديع(7) (انظر الشكل رقم 1) الذي يوضح كيف تتوزع أعصاب الإحساس في جلد الإنسان، حيث نجد أن هناك ما يقرب من خمسة عشر مركزًا لمختلف أنواع الإحساس العصبي قد تم اكتشافها من قبل علماء الطب والتشريح، وقد حمل بعضها أسماء مكتشفيها.

وقد قسم علماء الطب الإحساس إلى ثلاث مستويات:

أ ـ إحساس سطحي.

ب ـ إحساس عميق.

ج ـ إحساس مركب.

شكل رقم (1): هذا الشكل يبين تركيب جلد الإنسان

ويختص الإحساس السطحي باللمس والألم والحرارة، أما الإحساس العميق فيختص بالعضلات والمفاصل. أي إحساس الوضع أو التقبل الذاتي PROPRIOCEPTION)). وكذلك ألم العضلات العميق وتحسس الاهتزاز PALLESTHESIA)).

والآلية الحسية لكلا الإحساسين:-

السطحي والعميق، تشمل التعرف وتسمية الأشياء المعروفة والموضوعة في اليد، أي حاسة معرفة الأشياء باللمس (STEREOGNOSIS). وكذلك حاسة الإدراك الموضعي TOPOGNOSIS))، أي المقدرة على تحديد مواضع الإحساس أو التنبيه الجلدي.

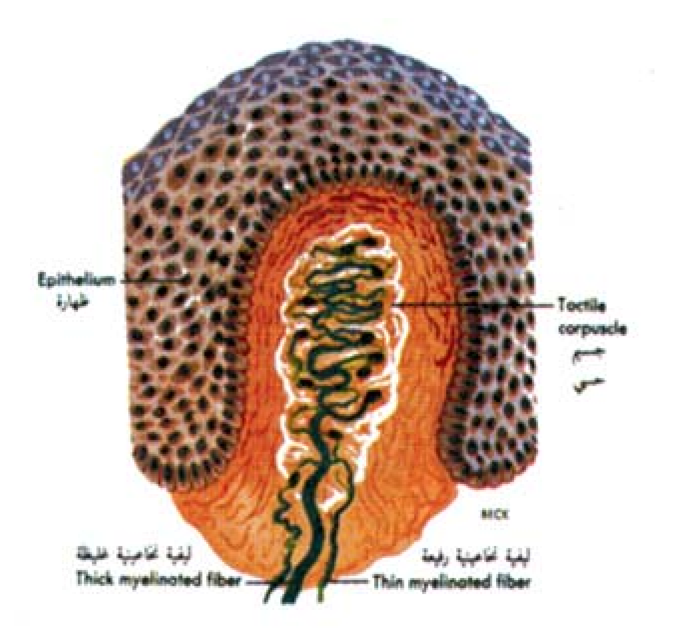
والإحساس باللمس: أي معرفة الأشياء باللمس، ويعتمد على سلامة قشرة المخ، أو لحاء المخ.

وهناك ما يعرف بتقسيم د. هد HEAD, S CLASSIFICATION))

حيث قسم الإحساس الجلدي إلى مجموعتين:

إحساس دقيق (EPICRITIC) يختص بتمييز حاسة اللمس الخفيف والفرق البسيط في الحرارة.

وإحساس أوّلي PROTOPATHIC)) ويختص بالألم، ودرجة الحرارة الشديدة.



جسيم باسيفيان
لنقل الإحساس بالضغط

بصيلة كروز الطرفية التي
كان يظن أنها متلقية للبرودة

وكل إحساس منهما يعمل بنوع مختلف من الوحدات العصبية، وقد بنى استنتاجه هذا على ملاحظاته لتجدد الأعصاب، الذي يعقب الإصابة، حيث وجد أن الإحساس الأوّلي PROTOPATHIC)) يعود سريعًا أي خلال عشرة أسابيع، بينما الإحساس الدقيق يبقى معطلاً لمدة سنة أو سنتين، أو ربما لا يعود نهائيًّا.

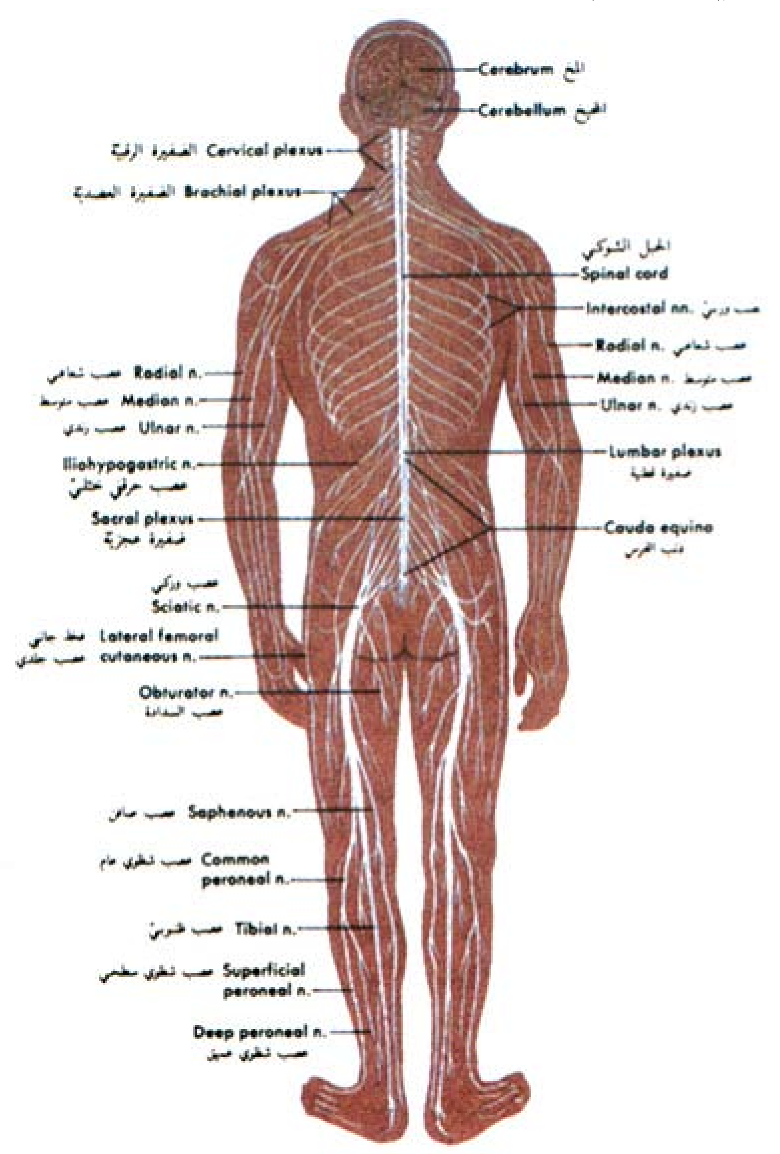
<u>خلايا التغيرات البيئية:</u>

توجد خلايا مخصصة لاكتشاف التغيرات الخاصة في البيئة RECEPTORS))، وهي تنقسم إلى أربعة أنواع:

- خلايا تتأثر بالبيئة الخارجية: EXTEROCEPTORS))، وهي مخصصة لحاسة اللمس، وتشتمل على جسيمات (مايسنر) MEISSNERS CORPUSCLES)) وجسيمات (ميركل) CORPUSCLES MERKELS)).
- خلايا الشعر، ونهاية بصيلات كروز: ERAUSE END BULBES))، وهي مخصصة للحرارة.
- نهايات الأعصاب الإرادية أو الحرّة للإحساس بالألم.

(انظر الشكل رقم 2)

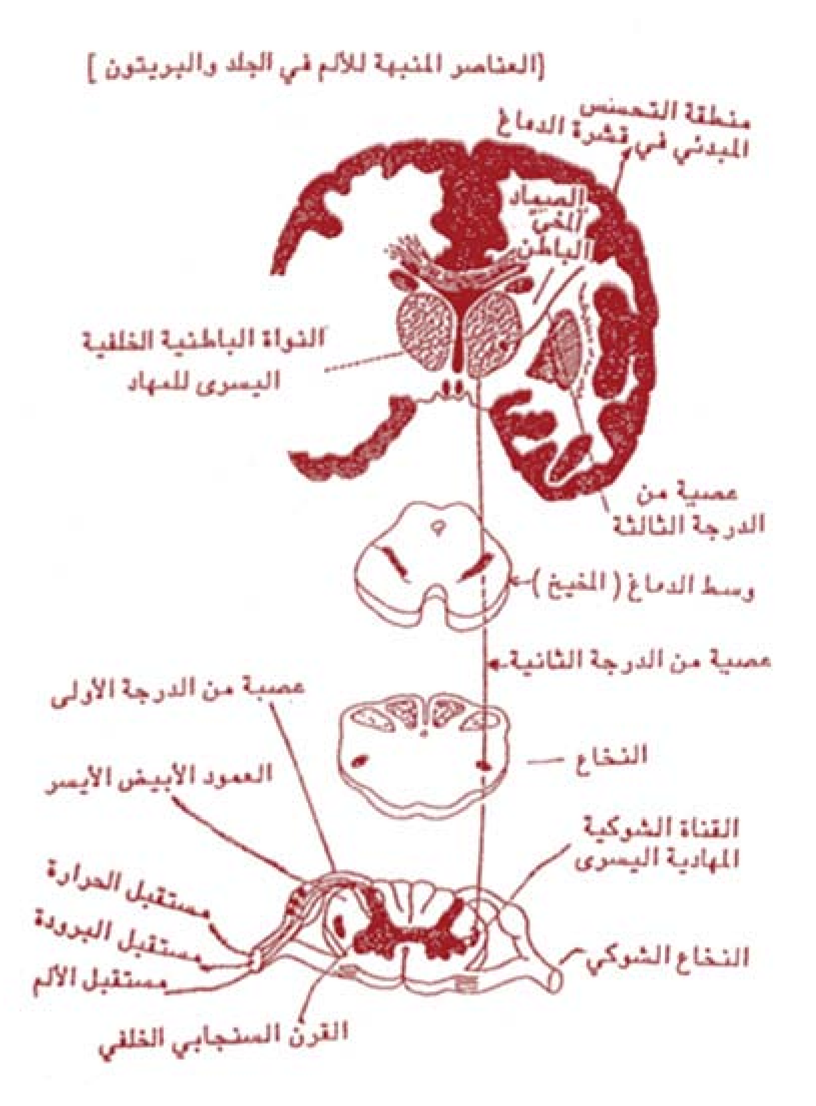
شكل رقم (2): الأشكال توضح نهايات العصب الحسي وهي متقبلات خارجية (مستقبلات)



وقد أثبت التشريح أن الألياف العصبية الخاصة بالألم والحرارة متقاربة جدًّا، كما بين الطريق الذي تسلكه الألياف العصبية الناقلة للألم والحرارة حيث تدخل النخاع الشوكي (SPINAL CORD) وبعده إلى المخيخ EEREBELLUM)) ثم إلى الدماغ المتوسط BRAIN MID)) ومنه إلى المهاد (THALAMUS) ثم إلى تلافيف الفص المهادي للمخ GYRUS OF (PARIETAL LOBE)).

ونخلص من هذا إلى أن الجلد من أهم أجزاء جسم الإنسان إحساسًا بالألم، نظرًا لأنه الجزء الأغنى بنهايات الأعصاب الناقلة للألم والحرارة. انظر الشكلين (3، 4).

شكل رقم (3):القسم المركزي والمحيطي للجهاز العصبي حيث يتكون الجهاز العصبي المركزي من الدماغ والحبل الشوكي، ويتكون الجهاز العصبي المحيطي من الأعصاب القحفية والشوكية.



شكل رقم (4): يوضح هذا الشكل الممر الحسي للألم والحرارة

<u>درجات الحروق وأنواعها:-</u>

لو استعرضنا درجات الحروق التي يصاب بها الإنسان لوجدنا أن هناك حروق من الدرجة الأولى، وحروق من الدرجة الثانية.
وجميعها تنقسم إلى حروق سطحية، وحروق عميقة، ثم حروق من الدرجة الثالثة.

ولو ألقينا نظرة إلى ما يصيب الجلد نتيجة لهذه الأنواع الثلاثة من الحروق لوجدنا أن حروق الدرجة الأولى تصيب طبقة البشرة القرنية، وتظهر على هيئة التهاب جلدي.

ويسمى أيضًا الحرق الحمامي، وفي هذه الحالة يحدث انتفاخ وألم بسيط لأن الحرق من الدرجة الأولى يصيب خلايا الطبقة السطحية، ومن المعتاد أن ظاهرة الاحمرار والانتفاخ والألم تختفي خلال يومين أو ثلاثة أيام.

ولو انتقلنا إلى حروق الدرجة الثالثة لوجدنا أن طبقة الجلد تصاب بكاملها، وربما تصل الإصابة إلى العضلات أو العظام، ويفقد الجلد مرونته ويصبح قاسيًا وجافًّا.

وفي هذه الحالة فإن المصاب لا يحس بالألم كثيراً، لأن نهايات الأعصاب تكون قد تلفت بسبب الاحتراق.

<u>ونعود الآن إلى حروق الدرجة الثانية، وهي تنقسم إلى قسمين:</u>

1 ـ سطحي.

2 ـ عميق.

يحدث في حالة الحروق السطحية من الدرجة الثانية أن طبقة البشرة (ظاهر الجلد) تنضج، وكذلك الأدمة ـ طبقة باطن الجلد ـ التي تحت البشرة.
ويحدث في هذه الحالة انفصال طبقة البشرة عن طبقة الأدمة، وتتجمع مواد مفرزة أو نتحات(8) بين هاتين الطبقتين، وتتكون كذلك النفط(9) تحت البشرة وهي مليئة بسوائل تشبه سوائل البلازما أو مصل الدم.

ويعاني المصاب في هذه الحالة من آلام شديدة، وزيادة مفرطة في الإحساس بالألم، نتيجة لإثارة النهايات العصبية المكشوفة. ويبدأ التئام الجلد خلال أيام قد تصل إلى أربعة طبقات نتيجة لعملية التجدد والانقلاب التي تحدث في الأمعاء.

الأحشاء وعذاب يوم القيامة:

وكما يتعرض الكفار لعذاب النار من الخارج عن طريق الجلد، فإنهم يتعرضون لعذاب داخلي من نوع آخر، عن طريق سقيهم بماء حميم، إذا دنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوا قطع أمعاءهم وأخرجها من أدبارهم، قال تعالى: (وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ) (محمد: 15).
لقد كشف علم التشريح أن الأمعاء الدقيقة هي أطول جزء في الجهاز الهضمي ـ يصل طولها إلى خمسة أمتار ـ

ويتكون جدارها من ثلاث طبقات:

1 ـ الطبقة الخارجية:

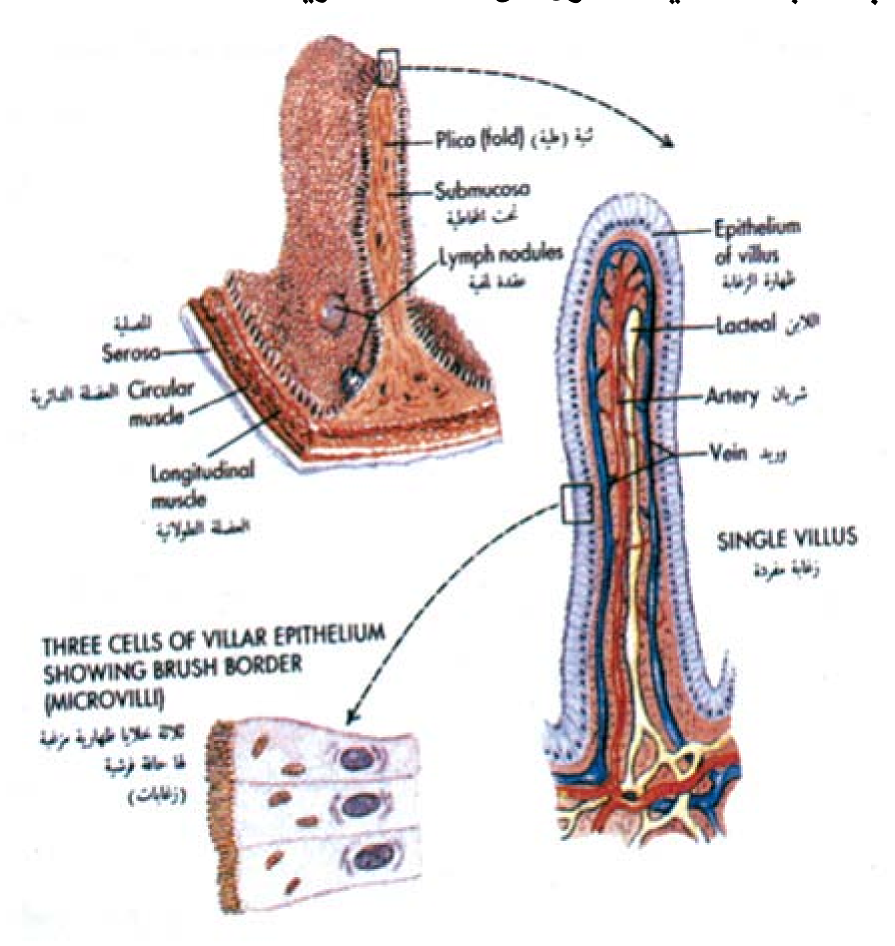
وهي الطبقة المصلية: وهي عبارة عن غشاء رقيق رطب بما يفرزه من سائل مصلي.

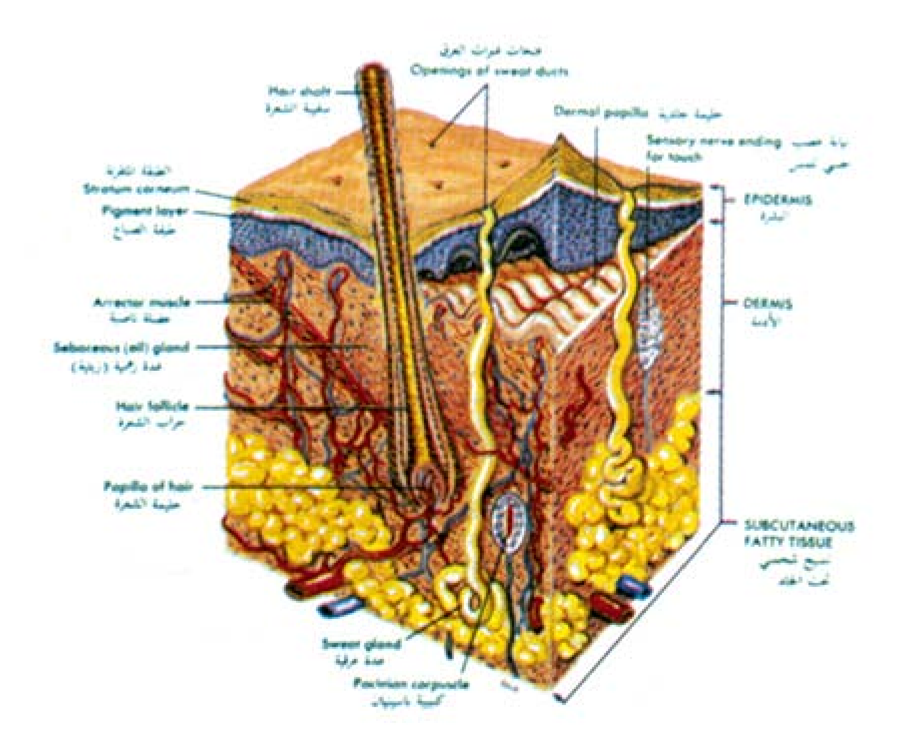
2 ـ الطبقة الوسطى:-

وهي الطبقة العضلية: التي تتكون بدورها من طبقتين:

أ ـ طبقة خارجية: تتكون من عضلات طولية.

ب ـ طبقة داخلية: تتكون من عضلات دائرية.





3 ـ الطبقة الداخلية وتسمى بالطبقة المخاطية:

وتتكون من صفيحة عضلية مخاطية، ونسيج تحت الغشاء المخاطي، وثنايا دائرية أو حلقية محمّلة بالزغب، وتحتوي على غدد معوية وحويصلات لمفاوية.

ونجد أن هذا الإبداع الإلهي في التكوين والتركيب جعل الأمعاء من الداخل في حماية من المؤثرات الداخلة إليها، التي يمكن أن تحدث آلامًا، منها آلام الإحساس بالحرارة.

فتجويف البطن مبطّن بالبريتون (الصفاق) الذي يبلغ حجمه (20.400سم مكعب) ويساوي نفس حجم الجلد الخارجي للجسم،

وهو ما يسمى بالصفاق الجداري،

وأما الذي يغطي الأحشاء، فإنه يسمى الصفاق الحشوي.

(انظر الشكل رقم 5)

شكل رقم (5): هذا الشكل يوضح طبقات الأمعاء الدقيقة وتركيب الزغابات المعوية

أما الجزء الموجود بين الصفاق الجداري والطبقة المصلية للأحشاء فيسمى المساريقا، وبه عدد كبير من جسيمات (باسيني).

والمساريقا تشبه الصفيحة المكونة من ورقتين مزدوجتين تمر بينهما الأعصاب والأوعية اللمفاوية والدموية. فمتلقيات الألم RECEPTORS)) والوحدات الحسية الأخرى الموجودة في الأحشاء تشبه تلك الموجودة في الجلد، لكن هناك اختلافات بيّنة في توزيعها.

فالأحشاء لا يوجد بها أعصاب التقبل الذاتي (PROPPIOCEPTORS)، ولكن يوجد فيها عدد قليل من الأعضاء الحسية للحرارة واللمس. لذا فإنه عندما يخدر جدار البطن بمخدر موضعي، ويفتح البطن ونمسك الأمعاء أو نقطعها أو حتى نحرقها لا ينتج عن ذلك أي انزعاج أو إحساس بألم.

ولكن عندما تتقطع الأمعاء بسبب شرب الماء الحميم (ماء حار شديد الغليان)(10) الذي ينفذ منها إلى التجويف المحيط بالأحشاء والغني بالأعصاب الحاسة ـ فإن العذاب بحرارة الحميم يبلغ أشده.

أوجـــــــــه الإعجاز:-

(أ) بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن الجلد محل العذاب فربط ـ جل وعلا ـ بين الجلد والإحساس بالألم في قوله تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ

جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ) فتبين بذلك أن الجلد وسيلة إحساس الكافرين بعذاب النار.

وأنه حينما ينضج الجلد ويحترق ويفقد تركيبه ووظيفته ويتلاشى الإحساس بألم العذاب يستبدل بجلد جديد مكتمل التركيب تام الوظيفة، تقوم فيه النهايات العصبية ـ المتخصصة بالإحساس بالحرارة وبآلام الحريق ـ بأداء دورها ومهمتها، لتجعل هذا الإنسان الكافر بآيات الله تعالى يذوق عذاب الاحتراق بالنار.

ولقد كشف العلم الحديث أن النهايات العصبية المتخصصة للإحساس بالحرارة وآلام الحريق لا توجد بكثافة إلا في الجلد،

وما كان بوسع أحد من البشر قبل اختراع المجهر وتقدم علم التشريح الدقيق أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا.. وهكذا تتجلى المعجزة وتظهر آيات الله تعالى.

(ب) هدّد القرآن الكريم الكفار بالعذاب بماء حميم يقطع أمعاءهم، واتضح السر في هذا التهديد أخيراً باكتشاف أن الأمعاء لا تتأثر بالحرارة، ولكنها إذا قطعت خرج منها الماء الحميم إلى البريتون الجداري، الذي يغذَّى بأعصاب الجدار التي تغذي الجلد وعضلات الصدر والبطن، وتتأثر هذه الأعصاب باللمس أو الحرارة فيسبب الحميم بعد تقطيع الأمعاء أعلى درجات الألم.

أما العذاب عن طريق الجلد فيختلف عن ذلك لاختلاف طبيعة تركيب الجلد، فلا يكون استمرار الإحساس بالعذاب في الجلد إذا نضج ـ إلا بتجديد جلد جديد.

فاختلاف الوصف لكيفية تحقيق العذاب بالنار من الخارج:-

1-عن طريق تبديل الجلد كلما نضج،

2-و من الداخل: بتقطيع الأمعاء بالحميم،

والذي أثبته العلم الحديث يتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم في هذين المجالين. ذلك أن القرآن الكريم كلام الخالق العليم الذي يعلم دقائق تركيب الإنسان وأسراره.

وهكذا يتجلى الإعجاز العلمي في الإحساس بالألم بالتوافق بين حقائق الطب ومعجزات القرآن الكريم.

المراجع العربية

1 ـ تفسير الطبري، ط. دار الفكر، بيروت.

2 ـ تفسير الكشاف، ط. دار المعرفة بيروت.

3 ـ تفسير القرطبي، ط. دار إحياء التراث، بيروت.

4 ـ تفسير الشوكاني، ط. دار المعرفة، بيروت.

5 ـ تفسير ابن كثير، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع الأجنبية

FUNCTIONAL NEUROLOCY & NEUROANATOMY

JOSEPH G. CHUSIN

ATLAS OF HUMAN ANATOMT

P. D. SYNELNYK OF

TREATMENT OF BURNS

YANG CHI CHUN

HSU WEI – SHIA

SHIH TRI – SING

REVIEW OF MEDICAL PHYSIOLOGY

W. F FORRESTER

PHYSIOLOGY & A COMPANION TO MEDICAL STUDES ANATO MY. BIOCHEMISTRY

.EDITOR - IN - CHIEF J. M. FORRESTER

هوامش:

(1) الطبري 142/5، 143.

(2) الكشاف 275/1.

(3) القرطبي 237/16.

(4) الطبري 50/26.

(5) الشوكاني 35/5.

(6) ابن كثير 271/4.

(7) النتح والنتوح: خروج العرق من أصول الشعر (أي من الجلد)، والمراد هنا القيح (لسان العرب:611/2).

(8) النفطة: بثرة تخرج في اليد من العمل ملأى بالماء بين الجلد واللحم (لسان العرب417/7).

(9) المعجم الوسيط: 1/ 200.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ
يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى
ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ
أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ
إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ
عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن
رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ
فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا
وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ
أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ
يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ

أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

المعجم الكبير للطبراني

1204 -عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

كَانَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ كَاهِنًا يَقْضِي بَيْنَ الْيَهُودِ فِيمَا يَتَنَافَرُونَ إِلَيْهِ، فتنافرَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطاغوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} [النساء:60] ،

إِلَى قَوْلِهِ، {إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا} [النساء:62] "

يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ)

مؤمنون بما جاء به الرسول و بما قبله،

و مع هذا ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾

و هو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت.

و الحال أنهم ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾

فكيف يجتمع هذا و الإيمان؟

فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله و تحكيمه في كل أمر من الأمور،

فمَنْ زعم أنه مؤمن و اختار حكم الطاغوت على حكم الله،

فهو كاذب في ذلك. و هذا من إضلال الشيطان إياهم،

و لهذا قال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ عن الحق.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾

***يعرضون عنك اعراضا كالمستكبرين عن ذلك كما قال الله:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٧٠

بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٥١

(فَكَيْفَ) يكون حال هؤلاء الضالين

(فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)

من المعاصي و منها تحكيم الطاغوت؟!

(ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ) معتذرين لما صدر منهم،

و يقولون: (إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا)

أي: ما قصدنا في ذلك إلا الإحسان إلى المتخاصمين و التوفيق بينهم،

و هم كَـــــــــذَبة في ذلك.

فإن الإحسان كل الإحسان تحكيم الله و رسوله

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠

*** يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكَ وَ يَحْلِفُونَ: مَا أَرَدْنَا بِذَهَابِنَا إِلَى غَيْرِكَ،
وَ تَحَاكُمِنَا إِلَى عَدَاكَ إِلَّا الْإِحْسَانَ وَ التَّوْفِيقَ،
أَيِ: الْمُدَارَاةَ وَ الْمُصَانَعَةَ، لَا اعْتِقَادًا مِنَّا صِحَّةَ تِلْكَ الْحُكُومَةِ،
كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ:
{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا
دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي

أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [الْمَائِدَةِ:52] .

و لهذا قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾

أي: من النفاق و القصد السيئ.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾

أي: لا تبال بهم و لا تقابلهم على ما فعلوه و اقترفوه.

﴿وَعِظۡهُمۡ ﴾ أي: بين لهم حكم الله تعالى مع الترغيب في الانقياد لله،

و الترهيب من تركه

﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾

أي: انصحهم سرا بينك و بينهم،

فإنه أنجح لحصول المقصود،

و بالغ في زجرهم و قمعهم عمَّا كانوا عليه،

و في هذا دليـــــــــل على أن:–

1–مقتــــــــــرف المعاصي و إن أعرض عنه فإنه ينصح سرًا،

2–و يبـــــــــالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ

أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا

رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ)

يخبر تعالى خبرا في ضمنــــــــه:-

1-الأمـــــــر و الحث على طاعة الرسول و الانقياد له.

2-و أن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسلُ إليهم في جميع ما أمروا به و نهوا عنه،

3-و أن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع.

4-و في هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله،

و فيما يأمرون به و ينهون عنه؛

لأن الله أمر بطاعتهم مطلقا،

فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقا.

و قوله: (بِإِذْنِ ٱللَّهِ)

أي: الطاعة من المطيع صادرة بقضاء الله و قدره.

ففيه إثبات القضاء والقدر،

و الحث على الاستعانة بالله،

و بيان أنه لا يمكن الإنسان – إن لم يعنه الله– أن يطيع الرسول.

***كقوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾
آل عمران: ١٥٢

أي عن أمره و قدره و مشيئته و تسليكه إياكم عليهم

ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، و دعوته لمن اقترفوا السيئات أن يعترفوا و يتوبوا و يستغفروا الله

فقال: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ)

أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها.

(فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا)

أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلْمَهم،

(رَّحِيمًا)

و رحمهم بقبول التوبة و التوفيق لها و الثواب عليها،

و هذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛

لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته،

و أما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك.

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ)

ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي:-

في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع،

فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة،

(ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا)

ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم و الضيق،

و كونهم يحكمونه على وجه الإغماض،

ثم لا يكفي ذلك حتى يُسلموا لحكمه تسليمًا بـــــــ:-

1-انشـــــــــراح صدر،

2-و طمأنينـــــــــة نفس،

3-و انقيـــــــــاد بالظاهر و الباطن.

❍فالتحكيم في مقام الإسلام،

و انتفاء الحرج في مقام الإيمان،

و التسليم في مقام الإحسان.

فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها.

فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر،

و مَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.

*** صحيح البخاري

2359 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ حَدَّثَهُ:

أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ، الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِ؟ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «أَسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟

فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ:

«اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ»

فَقَالَ الزُّبَيْرُ: " وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ:

{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء: 65] "( )

(شراج) جمع شرج وهو مسيل الماء من المرتفع إلى السهل.

(الحرة) الأرض الصلبة الغليظة ذات الحجارة السوداء و في المدينة حرتان.

(سرح) أرسله وسيبه.

(أن كان ابن عمتك) لأنه كان ابن عمتك حكمت له بذل قال ذلك عند الغضب وكان زلة منه رضي الله عنه.

(يرجع) يصل. (الجدر) الحواجز التي تحبس الماء والمعنى حتى تبلغ تمام الشرب.

(لا يؤمنون) لا يتم إيمانهم.

(شجر) حصل بينهم من خلاف واختلط عليهم أمره والتبس عليهم حكمه.

وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ

مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا

لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ

وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا

﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ

شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ

مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ

أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾

وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ

مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا

لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَكْثَرِ النَّاسِ أَنَّهُمْ لَوْ أُمِرُوا بِمَا هُمْ مُرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْمَنَاهِي لَمَا فَعَلُوهُ؛ لَأَنَّ[طِبَاعَهُمُ الرَّدِيئَةَ مَجْبُولَةٌ عَلَى مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ]

وَ هَذَا مِنْ عِلْمِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِمَا لَمْ يَكُنْ أَوْ كَانَ فَكَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ)

يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس مـــن:-

[قتل النفوس و الخروج من الديار]لم يفعله إلا القليل منهم و النادر،

فليحمدوا ربهم و ليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، و لا يشق فعلها،

و في هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، و يزداد حمدًا و شكرًا لربه.

(وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)

ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي:-

ما وُظِّف عليهم في كل وقت بحسبه، فــــــ:-

1-بـــــــذلوا هممهم،

2-و وفـــــــروا نفوسهم للقيام به و تكميله،

3-و لم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، و لم يكونوا بصدده،

❍و هذا هو الذي ينبغي للعبد،أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها،

❍ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى ما قدر له من العلم و العمل في أمر الديـــــــن و الـــــــدنيا،

❍و هذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه و لم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، و حصول الكسل و عدم النشاط.

ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به،

و هو أربعة أمـــور: -

(أحدها) الخيرية في قوله: (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) أي:-

لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: و انتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.

(الثاني) (وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)حصول التثبيت و الثبات و زيادته،

فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان،

الذي هو القيام بما وعظوا به،

1-فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في:-

[الأوامر و النواهي و المصائب،]

فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر و ترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها،

2–و عند حلول المصائب التي يكرهها العبد.

فيوفق للتثبيت ب[التوفيق للصبـر أو للرضـــا أو للشكـــر]

فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك،

3–و يحصل له الثبات على الدين، عند الموت و في القبر.

4–و أيضا فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها و يشتاق إليها و إلى أمثالها،

فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.

(الثالث) قوله: (وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا) أي:–

في العاجل و الآجل الذي يكون للروح و القلب و البدن،

و من النعيم المقيم مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.

(الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم. و هذا عموم بعد خصوص،

[لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم،] من كونها متضمنة لـــــــــ:–

1–العلـــــــــم بالحق،

2–و محبتــــــــه و إيثاره

3–و العمـــــــل به،

و توقف السعادة و الفلاح على ذلك،

فمن هُدِيَ إلى صراط مستقيم،فقد وُفِّقَ لكل خير و اندفع عنه كل شر و ضير.

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

**جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

المعجم الصغير للطبراني

52 - عَنْ عَائشَةَ قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّه ، وَ اللَّه إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ،

وَ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي ،

وَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي ،

وَ إِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْت

فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ ،

وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ ،

وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ ،

فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺشَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء:69] "

(وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ)

أي: كل مَنْ أطاع الله و رسوله على حسب حاله و قدر الواجب عليه من ذكر و أنثى و صغير و كبير،

(فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم) أي:-

النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال و الفلاح و السعادة

(مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ)

الذين فضلهم الله بوحيه، و اختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلى الخلق، و دعوتهم إلى الله تعالى

(وَٱلصِّدِّيقِينَ)

و هم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل،

فعلموا الحق و صدقوه بيقينهم،

و بالقيام به قولا و عملا و حالا و دعوة إلى الله،

(وَٱلشُّهَدَآءِ) الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا،

(وَٱلصَّٰلِحِينَۚ) الذين صلح ظاهرهم و باطنهم فصلحت أعمالهم،

فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم

(وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا)

بالاجتماع بهم في جنات النعيم و الأنس بقربهم في جوار رب العالمين.

*****صحيح البخاري**

4586 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ»

وَ كَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ،

فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء: 69] فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ

*****صحيح البخاري**

4437 - عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ هُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ:

إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ،

ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَ حَضَرَهُ القَبْضُ

وَ رَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ،

فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ البَيْتِ، ثُمَّ قَالَ:-

«اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»

فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ( )

*****صحيح مسلم**

(489) عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ:

(يقبض) يموت. (يحيا) يسلم عليه سلام الوداع أو يملك إليه أمره. (شخص) ارتفع أو فتح عينيه. (لا يجاورنا) لا يبقى حيا في جوارنا وفي رواية (لا يختارنا) أي لا يختار البقاء في الدنيا. (فعرفت أنه حديثه. .) أي عرفت من قوله أنه يخير كما كان يحدث عن تخيير الأنبياء عليهم السلام]

كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَ حَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ»
فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ.
قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ.
قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»
***صحيح البخاري
6168 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»

(ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ) الذي نالوه

(مِنَ ٱللَّهِۚ)

فهو الذي وفقهم لذلك، و أعانهم عليه، و أعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم.

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا)

يعلم أحوال عباده و من يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة التي تواطأ عليها القلب و الجوارح.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ

يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين.

و هذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب،

[التي بها يستعان على قتالهم و يستدفع مكرهم و قوتهم،] مـــــــــن:-

1-استعمـــــــال الحصون و الخنادق،

2-و تعلـــــــم الرمي و الركوب،

3-وتعلـــــــم الصناعات التي تعين على ذلك،و ما به يعرف :-

[مداخلهم،و مخارجهم،و مكرهم،]

و النفير في سبيل الله.

و لهذا قال: (فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ)

أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، و يقيم غيرهم

(أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا)

و كل هذا تبع للمصلحة و النكاية، و الراحة للمسلمين في دينهم،

و هذه الآية نظير قوله تعالى:-

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: –

(وَإِنَّ مِنكُمْ) أي: أيها المؤمنون

(لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ)

1–أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفا و خورا و جبنا، هذا الصحيح.

2–و قيل معناه: ليبطئن غيرَه أي:– يزهده عن القتال، و هؤلاء هم المنافقون،

***كعبد الله بن أبي بن سلول يتأخر عن الجهاد و يثبط الناس عن الخروج

و لكن الأول أَولى لوجهيـــــــــــن:–

أحدهما: قوله (مِنْكُمْ) و الخطاب للمؤمنين.

و الثاني: قوله في آخر الآية: (لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ)

فإن الكفار من المشركين و المنافقين قد قطع الله بينهم و بين المؤمنين المودة.

و أيضا فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على قســـــــــمين: –

1–صـــــــــادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق و الجهاد.

2–و ضعفـــــــــاء دخلوا في الإسلام فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى

على الجهاد.

كما قال تعالى: -

(قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) إلى آخر الآيات.

ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين و نهاية مقاصدهم،

و أن معظم قصدهم الدنيا و حطامها فقال:

(فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ)

أي: هزيمة و قتل، و ظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال لما لِله في ذلك من الحكم.

(قَالَ) ذلك المتخلف

(قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا)

*الميسر :حين لم أكن حاضراً

رأى من ضعف عقله و إيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي فيه تلك المصيبة نعمة.

و لم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه الطاعة الكبيرة،التـــــــــي :-

1-بهـــــــا يقوى الإيمان،

2-و يسلم بها العبد من العقوبة و الخسران،

3-و يحصل له فيها عظيم الثواب و رضا الكريم الوهاب.

***و لم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قُتل

❍و أما القعود فإنه و إن استراح قليلا فإنه يعقبه تعب طويل و آلام عظيمة،

و يفوته ما يحصل للمجاهدين.

ثم قال: (وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ)

أي: نصر و غنيمة

(لَيَقُولَنَّ)

*حاسدا متحسرا

(كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا)

*أيسر التفاسير:بالنجاة من معرة التخلف والظفر بالغنائم والعودة سالماً.

أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة و لا قصد في غير ذلك،

كأنه ليس منكم يا معشر المؤمنين و لا بينكم و بينه المودة الإيمانية التي من

مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم و دفع مضارهم،

يفرحون بحصولها و لو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين و يألمون بفقدها،

و يسعون جميعا في كل أمر يصلحون به دينهم و دنياهم،

فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة.

❍و من لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم رحمته، و لا يغلق عنهم أبوابها.

بل من حصل منه غير ما يليق أمره و دعاه إلى جبر نقصه و تكميل نفسه، فلهذا أمر هؤلاء بالإخلاص و الخروج في سبيله فقال:

(فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)

هذا أحد الأقوال في هذه الآية و هو أصحها.

و قيل: إن معناه: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الكاملو الإيمان، الصادقون في إيمانهم

(ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ)

أي: يبيعون الدنيا رغبة عنها بالآخرة رغبة فيها.

فإن هؤلاء الذين يوجه إليهم الخطاب لأنهم الذين قد أعدوا أنفسهم و وطَّنوها على جهاد الأعداء، لِما معهم من الإيمان التام المقتضي لذلك.

و أما أولئك المتثاقلون،

فلا يعبأ بهم خرجوا أو قعدوا، فيكون هذا نظير قوله تعالى:

(قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا) إلى آخر الآيات.

و قوله: (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ)

و قيل: إن معنى الآيـــــــــة:-

فليقاتل المقاتل و المجاهد للكفار الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة،

فيكون على هذا الوجه « الذين » في محل نصب على المفعولية.

(وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)

بأن يكون جهادا قد أمر الله به و رسوله،

و يكون العبد مخلصا لله فيه قاصدا وجه الله.

(فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا)

زيادة في إيمانه و دينه، و غنيمة، و ثناء حسنا،

و ثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنة:

[ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.]

***صحيح البخاري

3123 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ،

وَ تَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،

أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»( )

(تصديق كلماته) أي مصدقا بما وعد الله تعالى في كتابه من أجر على الجهاد]

وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا

مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي

سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ أَلَمۡ تَرَ إِلَى

ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ

مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ

أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا

٧٧ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ

هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ

هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن

سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩

وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا

﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾

هذا حث من الله لعباده المؤمنين و تهييج لهم على القتال في سبيله، و أن ذلك قد تعين عليهم، و توجه اللوم العظيم عليهم بتركه، فقال:

(**وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ**)

و الحال أن المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان الــــــذين:-

لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا

و مع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم،

(**يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ**)

*****يعني مكة**

*****كقوله** ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ محمد: ١٣

(**ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا**)

فهم يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها:-

1- لأنفسهم بالكفر و الشرك،

2-و للمؤمنين بالأذى و الصد عن سبيل الله،

و منعهم من الدعوة لدينهم و الهجرة.

(وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا)

و يدعون الله أن يجعل لهم وليًّا و نصيرًا يستنقذهم من هذه القرية الظالم أهلها،

فصار جهادكم على هذا الوجه من بـــــــــاب:-

1-القتـــــــــال

2- و الـــــــــذب عن عيلاتكم و أولادكم و محارمكم،

لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار،

فإنه و إن كان فيه فضل عظيم و يلام المتخلف عنه أعظم اللوم،

فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرًا و أكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦

(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ)

هذا إخبار من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾

الذي هو الشيطان.

في ضمن ذلك عدة فوائـــــــــد:-

1: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله،

و إخلاصه و متابعته.

فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان و مقتضياته و لوازمه،

كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شُعَبِ الكفر و مقتضياته.

2: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له و يحسن منه من:-

[الصبر و الجلد ما لا يقوم به غيره،]

فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون و يقاتلون و هم على باطل،

فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى:

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾الآية.

3: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمد على ركن وثيق، و هو الحق،

و التوكل على الله.

فصاحب القوة و الركن الوثيق يطلب منه مـــــــــن:-

[الصبر و الثبات و النشاط] ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل،

الذي لا حقيقة له و لا عاقبة حميدة.

فلهذا قال تعالى: (فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا)

و الكيــــــــد:-

هو سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو،

فالشيطان و إن بلغ مَكْرُهُ مهما بلغ فإنه في غاية الضعف،

الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق و لا لكيد الله لعباده المؤمنين.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾

(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ)

**جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

سنن النسائي

308 -عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا:-

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ،

فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً، فَقَالَ:

«إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا»

فَلَمَّا حَوَّلَنَا اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرَنَا بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [النساء:77]

❍كان المسلمون – إذ كانوا بمكة– مأمورين بالصلاة و الزكاة أي:–

مواساة الفقراء، لا الزكاة المعروفة ذات النصب و الشروط،

فإنها لم تفرض إلا بالمدينة،

و لم يؤمروا بجهاد الأعداء لعدة فوائــــــــد: –

1: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه

لا يشق عليهم؛ و يبدأ بالأهم فالأهم، و الأسهل فالأسهل.

2: أنه لو فرض عليهم القتال –مع قلة عَدَدِهِم و عُدَدِهِم و كثرة أعدائهم– لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام،

فرُوْعِي جانب المصلحة العظمى على ما دونها و لغير ذلك من الحِكَم.

و كان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير اللائق فيها ذلك،

و إنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت مـــــــن :–

[التوحيد و الصلاة و الزكاة]و نحو ذلك كما قال تعالى:–

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا

(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً)

***كقوله﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾محمد: ٢٠

*الميسر :فلما فرض عليهم القتال إذا جماعة منهم قد تغير حالهم، فأصبحوا يخافون الناس ويرهبونهم، كخوفهم من الله أو أشد، ويعلنون عما اعتراهم من شدة الخوف،

❍فلما هاجروا إلى المدينة و قوي الإسلام، كُتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك،

فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك خوفا من الناس و ضعفا و خورا: (وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ) ؟

و في هذا تضجرهم و اعتراضهم على الله،

و كان الذي ينبغي لهم ضد هذه الحـــــــال:-

1-التســـــــليم لأمر الله

2-و الصبـــــــــر على أوامره،

فعكسوا الأمر المطلوب منهم فقالوا: (لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ)

أي: هلا أخرت فرض القتال مدة متأخرة عن الوقت الحاضر،

و هذه الحال كثيرًا ما تعرض لمن هو غير رزين

و استعجل في الأمور قبل وقتها،

فالغالب عليه أنه لا يصبر عليها وقت حلولها و لا ينوء بحملها،

بل يكون قليل الصبر.

ثم إن الله وعظهم عن هذه الحال التي فيها التخلف عن القتال فقال:

(قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا)

أي: التمتع بلذات الدنيا و راحتها قليل،

فتحمل الأثقال في طاعة الله في المدة القصيرة مما يسهل على النفوس و يخف عليها؛

لأنها إذا علمت أن المشقة التي تنالها لا يطول لبثها هان عليها ذلك،

فكيف إذا وازنت بين الدنيا والآخرة،

و أن الآخرة خير منها، في ذاتها، و لذاتها و زمانها،

فذاتها – كما ذكر النبيﷺفي الحديث الثابت عنه–

« أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها » .

و لذاتها صافية عن المكدرات، بل كل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة الجنة فوق ذلك

كما قال تعالى:–(فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)

و قال الله على لسان نبيهﷺ:

« أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر » .

و أما لذات الدنيا فإنها:–

مشوبة بأنواع التنغيص الذي لو قوبل بين لذاتها و ما يقترن بها من أنواع الآلام و الهموم و الغموم،

لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه.

و أما زمانها، فإن الدنيا منقضية،

و عمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير،

و أما الآخرة فإنها دائمة النعيم و أهلها خالدون فيها،

فإذا فكّر العاقل في هاتين الدارين و تصور حقيقتهما حق التصور،

عرف ما هو أحق بالإيثار،

و السعي له و الاجتهاد لطلبه،

و لهذا قال: (وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ)

أي: اتقى الشرك، و سائر المحرمات.

(وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا)

أي: فسعيكم للدار الآخرة ستجدونه كاملا موفرًا غير منقوص منه شيئًا.

ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر،

و أن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئًا،

*الفتيل:-ما يفتل من وسخ اليد -أو- شق النواة

فقال: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ)

أي: في أي زمان و أي مكان.

(وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)

أي: قصور منيعة و منازل رفيعة،

و كل هذا حث على الجهاد في سبيل الله :-

تارة بالترغيب في فضله و ثوابه،

و تارة بالترهيب من عقوبة تركه،

و تارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودُهم،

و تارة بتسهيل الطريق في ذلك و قصرها.

(وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا)

يخبر تعالى عن الذين لا يعلمون المعرضين عما جاءت به الرسل،

المعارضين لهم أنهم إذا جاءتهم حسنة

أي: خصب و كثرة أموال، و توفر أولاد و صحة،

قالوا: (هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ)

*** مِنْ قِبَلِكَ وَ بِسَبَبِ اتِّبَاعِنَا لَكَ وَ اقْتِدَائِنَا بِدِينِكَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ:

{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} [الْأَعْرَافِ: 131]

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ } الْآيَةَ [الْحَجِّ: 11] .

وَ هَكَذَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَ هُمْ كَارِهُونَ لَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛

وَ لِهَذَا إِذَا أَصَابَهُمْ شَرٌّ إِنَّمَا يَسْنُدُونَهُ إِلَى اتِّبَاعِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ

(وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ)

جدب و فقر، و مرض و موت أولاد و أحباب

(يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ)

أي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله ﷺ كما تطير أمثالهم برسل الله،

كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى :-

(فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ)

وقال قوم صالح: (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ)

وقال قوم ياسين لرسلهم:-

(إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) الآية.

فلما تشابهت قلوبهم بالكفر تشابهت أقوالهم و أعمالهم.

و هكذا كل من نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه فهو داخل في هذا الذم الوخيم.

قال الله في جوابهم: -(قُلۡ كُلّٞ)

أي: من الحسنة و السيئة و الخير و الشر.

(مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ) أي: بقضائه و قدره و خلقه.

(فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ)أي: الصادر منهم تلك المقالة الباطلة.

(لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا)

1–أي: لا يفهمون حديثا بالكلية و لا يقربون من فهمه،

2–أو لا يفهمون منه إلا فهمًا ضعيفًا،

و على كل فهو ذم لهم و توبيخ على عدم فهمهم و فقههم عن الله و عن رسوله، و ذلك بسبب[كفرهم و إعراضهم.]

❍و في ضمن ذلك :–

1–مدْح من يفهم عن الله و عن رسوله،

2–و الحث على ذلك، و على الأسباب المعينة على ذلك،

من الإقبال على كلامهما و تدبره، و سلوك الطرق الموصلة إليه.

❍فلو فقهوا عن الله لـــــــــــ:–

1–علموا أن الخير و الشر و الحسنات و السيئات كلها بقضاء الله و قدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك.

2–و أن الرسل عليهم الصلاة و السلام لا يكونون سببا لشر يحدث، هم و لا ما جاءوا به لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا و الآخرة و الدين.

(مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩)

ثم قال تعالى: (مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ) أي: في الدين و الدنيا

(فَمِنَ ٱللَّهِۖ) هو الذي مَنَّ بها و يسرها بتيسير أسبابها.

(وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ) في الدين و الدنيا

(فَمِن نَّفۡسِكَۚ)

أي: بذنوبك و كسبك، و ما يعفو الله عنه أكثر.

فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه

و أمرهم بالدخول لبره و فضله،

☼و أخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله،

فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه

فإنه المانع لنفسه عن وصول فضل الله و بره.

***كقوله﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ

﴾الشورى: ٣٠

***صحيح البخاري

5641 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»( )

❍ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله محمد ﷺ فقال:-

(وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا)

على أنك رسول الله حقا بما أيدك بـــــــــ:-

1-نصـــــــــره

2-و المعجـــــــــــزات الباهرة و البراهين الساطعة،

فهي أكبر شهادة على الإطلاق، كما قال تعالى:-

(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)

❍فإذا علم أن الله تعالى كامل العلم، تام القدرة عظيم الحكمة،

و قد أيد الله رسوله بما أيده، و نصره نصرا عظيما،

(نصب) تعب
(وصب) مرض
(هم) كره لما يتوقعه من سوء
(حزن) أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي
(أذى) من تعدي غيره عليه
(غم) ما يضيق القلب والنفس
(خطاياه) ذنوبه]

تيقن بذلك أنه رسول الله،

و إلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين.

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا)

***** عَلَى أَنَّهُ أَرْسَلَكَ، وَ هُوَ شَهِيدٌ أَيْضًا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ،**
وَ عَالِمٌ بِمَا تُبْلِغُهُمْ إِيَّاهُ، وَ بِمَا يردون عليك من الحق كفرا و عنادًا.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾

وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ

يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ

مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ

لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ

إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ

أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ

شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾

وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ

وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

***كقوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم

*** صحيح البخاري

2957 – قال النبيﷺ

«مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،

وَ مَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ،

وَ مَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي،

وَ مَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي،

وَ إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ

وَ يُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ،

فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ»( )

(مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ)

أي: كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره و نواهيه

(فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ)

تعالى لكونه لا يأمر و لا ينهى إلا [بأمر الله و شرعه و وحيه و تنزيله،]

(الأمير) أمير السرية أو ولاة الأمور مطلقا.

(الإمام) الحاكم الأعلى القائم بشؤون الأمة.

(جنة) سترة ووقاية لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس من أذى بعضهم بعضا.

(يقاتل من ورائه) يقاتل معه الكفار والبغاة وسائر أهل الفساد.

(يتقى به) يحتمى به ويتقوى وقيل يرجع إليه في الرأي والتدبير.

(بغيره) أمر بغير تقوى الله تعالى وعدله. (فإن عليه منه) فإن الوبال الحاصل منه عليه لا على المأمور]

و في هذا عصمة الرسول ﷺلأن الله أمر بطاعته مطلقا،

فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقا،

و يمدح على ذلك.و هذا من الحقوق المشتركة

فإن الحقوق ثـــــــــلاثة:-

1-حـــــــق لله تعالى لا يكون لأحد من الخلق، و هـــــــو:-

[عبـــــــادة الله و الـــــــرغبة إليه، و تـــــــوابع ذلك.]

2-و قسم مختص بالرسول، و هو[التعـــــــزير والتـــوقير و النـــصرة]

3-و قسم مشتـــرك، و هو الإيمان بالله و رسوله و محبتهما و طاعتهما،

كما جمع الله بين هذه الحقوق في قوله: -

[لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا]

فمَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله،

و له من الثواب و الخير ما رتب على طاعة الله

(وَمَن تَوَلَّىٰ)

عن طاعة الله و رسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، و لا يضر الله شيئًا

(فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا)

أي: تحفظ أعمالهم و أحوالهم، بل أرسلناك مبلغا و مبينا و ناصحا،

و قد أديت وظيفتك، و وجب أجرك على الله، سواء اهتدوا أم لم يهتدوا.

كما قال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) الآيات

-و لا بد أن تكون طاعة الله و رسوله ظاهرًا و باطنًا في الحضرة و المغيب

-فأما مَنْ يظهر في الحضرة و الطاعة و الالتزام

فإذا خلا بنفسه أو أبناء جنسه ترك الطاعة و أقبل على ضدها

فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة و لا مفيدة و قد أشبه من قال الله فيهم

(وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ)

أي يظهرون الطاعة إذا كانوا عندك (((***أي المنافقون)))

(فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ)

أي خرجوا و خلوا في حالة لا يطلع فيها عليهم

(بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ)

أي بيتوا و دبروا غير طاعتك و لا ثَمَّ إلا المعصية

و في قوله (بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ)

دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛

لأن التبييت تدبير الأمر ليلا على وجه يستقر عليه الرأي

ثم توعدهم على ما فعلوا فقال (وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ)

أي يحفظه عليهم و سيجازيهم عليه أتم الجزاء ففيه وعيد لهم

***يَعْلَمُهُ وَ يَكْتُبُهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ حَفِظَتَهُ الْكَاتِبِينَ،

الَّذِينَ هُمْ مُوَكَّلُونَ بِالْعِبَادِ. يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ.
وَ الْمَعْنَى فِي هَذَا التَّهْدِيدِ:-
أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يُضْمِرُونَهُ وَيُسِرُّونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ،
وَ مَا يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِ لَيْلًا مِنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ وَ عِصْيَانِهِ،
وَ إِنْ كَانُوا قَدْ أَظْهَرُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَ الْمُوَافَقَةَ،وَ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا
ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ } [النُّورِ: 47] .

(فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ)

○ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض و عدم التعنيف فإنهم لا يضرونه شيئا
إذا توكل على الله و استعان به في نصر دينه و إقامة شرعه

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا)

* الميسر:وحسبك به ولياً و ناصراً.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ)

***قُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ،
لِأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، فَهُوَ حَقٌّ مِنْ حَقٍّ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:
{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [مُحَمَّدٍ: 24]
ثُمَّ قَالَ: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ} أَيْ:-
***مسند أحمد مخرجا

6702 - عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّهِ،
قَالَ: لَقَدْ جَلَسْتُ أَنَا وَ أَخِي مَجْلِسًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ:-
أَقْبَلْتُ أَنَا وَ أَخِي وَ إِذَا مَشْيَخَةٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُلُوسٌ عِنْدَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ، فَكَرِهْنَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ،
فَجَلَسْنَا حَجْرَةً، إِذْ ذَكَرُوا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ،
فَتَمَارَوْا فِيهَا، حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ،
فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا، قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ يَرْمِيهِمْ بِالتُّرَابِ،
وَ يَقُولُ: «مَهْلًا يَا قَوْمِ، بِهَذَا أُهْلِكَتِ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ،
بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَ ضَرْبِهِمُ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ،
إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا،
بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا،
فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ،
وَ مَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ»

يأمر تعالى بتدبر كتابه، و هـــــو:-

1-التـــــأمل في معانيه(((الْمُحْكَمَةِ وَ أَلْفَاظِهِ الْبَلِيغَةِ)))**

2-و تحـــــديق الفكر فيه، و في مبادئه و عواقبه،

3-و لـــــوازم ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم و المعارف،

4-وَ نَاهِيًا لَهُمْ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ،

و بــــــه:-

1-يستنتج كل خير

2-و تستخرج منه جميع العلوم،

3-و به يزداد الإيمان في القلب و ترسخ شجرته.

فإنه يُعرِّف بـــــــ:-

1-الرب المعبود، و ما له من صفات الكمال؛

و ما ينزه عنه من سمات النقص،

2-و يعرِّف الطريق الموصلة إليه و صفة أهلها،

و ما لهم عند القدوم عليه،

3-و يعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة،

و الطريق الموصلة إلى العذاب، و صفة أهلها،

و ما لهم عند وجود أسباب العقاب.

و كلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما و عملا و بصيرة،

لذلك أمر الله بذلك و حث عليه و أخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن،

كما قال تعالى:(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ)

وقال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)

4-و من فـــــوائد التدبر لكتـــــاب الله:-

أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين و العلم بأنه كلام الله،

لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، و يوافق بعضه بعضا.

فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع،

كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا،

فبذلك يُعلم كمال القرآن و أنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور،

فلذلك قال تعالى:(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا.

[اضْطِرَابًا وَ تَضَادًّا كَثِيرًا. أَيْ:- وَ هَذَا سَالِمٌ مِنَ الِاخْتِلَافِ،]

*** لَوْ كَانَ مُفْتَعَلًا مُخْتَلَقًا،

كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ فِي بَوَاطِنِهِمْ

*** فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى مخبرا عن الراسخين في العلم

حَيْثُ قَالُوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آلِ عِمْرَانَ:7]

أَيْ: -مُحْكَمُهُ وَ مُتَشَابِهُهُ حَقٌّ؛

فَلِهَذَا رَدُّوا الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ فَاهْتَدَوْا،

وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ رَدُّوا الْمُحْكَمَ إِلَى الْمُتَشَابِهِ فغووا؛

وَ لِهَذَا مَدَحَ تَعَالَى الرَّاسِخِينَ وَ ذَمَّ الزَّائِغِينَ.

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

قال الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب قال:-

لما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه قال:-

دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون:-

طلق رسول اللّه نساءه، و ذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب.

قال عمر: فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث،

وفيه بعد استئذانه على رسول الله ﷺ فقلت: -

أطلقتهن يا رسول اللّه، قال: "لا" .

قلت: يا رسول اللّه إني دخلت المسجد والناس ينكتون بالحصى يقولون طلق رسول اللّه ﷺ نساءه،

فأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن، قال: "نعم إن شئت".

فذكر الحديث

وفيه فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول اللّه نساءه،

ونزلت الآية {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ منَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ}

وكنت أنا استنبطت ذلك وأنزل اللّه آية التخيير.

❍هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق.

و أنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة و المصالح العامة

ما يتعلق بالأمن و سرور المؤمنين،

أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن:-

[يتثبتوا و لا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر،]

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ)

بل يردونه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم،

[أهلِ الرأي و العلم و النصح و العقل و الرزانة]

الذين يعرفون الأمور و يعرفون المصالح و ضدها.

☼فإن رأوا في إذاعته مصلحة و نشاطا للمؤمنين و سرورا لهم و تحرزا من أعدائهم ← فعلوا ذلك.

☼و إن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة و لكن مضرته تزيد على مصلحته ← لم يذيعوه،

و لهذا قال: (لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ)

***يَسْتَخْرِجُونَهُ وَ يَسْتَعْلِمُونَهُ مِنْ مَعَادِنِهِ، يُقَالُ:-

اسْتَنْبَطَ الرَّجُلُ الْعَيْنَ، إِذَا حَفَرَهَا وَ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ قُعُورِهَا

أي: يستخرجونه بفكرهم و آرائهم السديدة و علومهم الرشيدة.

❍و في هذا دليل لقاعدة أدبية و هي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك و يجعل إلى أهله،

و لا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب و أحرى للسلامة من الخطأ.

و فيه النهي عن العجلة و التسرع لنشر الأمور من حين سماعها،

و الأمر بالتأمل قبل الكلام و النظر فيه،

هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟

ثم قال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ)

أي: في توفيقكم و تأديبكم، و تعليمكم ما لم تكونوا تعلمون

(لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا)

لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر.

فإذا لجـــــأ إلى ربه و اعتصم به و اجتهـــــــد في ذلك:-

1-لطـــــف به ربه

2-و وفقـــــه لكل خير،

3-و عصمـــــه من الشيطان الرجيم.

فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

هذه الحالة أفضل أحوال العبد، أن يجتهد في نفسه على امتثال أمر الله من الجهاد و غيره، و يحرض غيره عليه،

و قد يعدم في العبد الأمران أو أحدهما

فلهذا قال لرسوله: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾

أي: ليس لك قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك.

﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ على القتال،

و هذا يشمل كل أمر يحصـــــــــــل به :-

1-نشـــــــــاط المؤمنين

2-و قـــــــــــوة قلوبهم، من:-

تقـــــــــويتهم و الإخبـــــــــار بضعف الأعداء و فشـــــــــــلهم،

و بما أُعـــــــــــد للمقاتلين من الثواب،

و ما على المتخـــــــــــلفين من العقاب،

فهذا و أمثاله كله يدخل في التحريض على القتال.

***صحيح مسلم1902

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»
قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ:-
يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟
قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟»
قَالَ: لَا وَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا،

قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ،
قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ

***صحيح البخاري

2790 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ، وَ أَقَامَ الصَّلاَةَ، وَ صَامَ رَمَضَانَ
كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»
فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟
قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ،
فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،
فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَ أَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،
وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ( )

(عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ)

*الميسر : لعل الله يمنع بك وبهم بأس الكافرين وشدتهم
أي: بقتالكم في سبيل الله، و تحريض بعضكم بعضًا.

(الفردوس) هو البستان الذي يجمع ما في البساتين كلها من شجر وزهر ونبات. (أوسط الجنة) أفضلها وخيرها.
(أراه) أظنه وهذا من كلام يحيى بن صالح شيخ البخاري أي أظنه قال (فوقه) (تفجر) تنشق]

(وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا) أي: قوة و عزة

(وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا)

بالمذنب في نفسه، و تنكيلا لغيره،

*الميسر :و أعظم عقوبة للكافرين.

فلو شاء تعالى لانتصر من الكفار بقوته و لم يجعل لهم باقية.

و لكن من حكمتـــــــــه:-

1-يبلو بعض عباده ببعض ليقوم سوق الجهاد،

2-و يحصل الإيمان النافع، [إيمان الاختيار،]لا [إيمان الاضطرار و القهر] الذي لا يفيد شيئا.

*** كقوله﴿ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾محمد: ٤

مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾

(مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ)

المراد بالشفـــــــــاعة هنا:-

المعاونة على أمر من الأمور،

فمن شفع غيره و قام معه على أمر من أمور الخير

– و منه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم–

(يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ)

***الميسر:من الثواب**

كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه و عمله و نفعه،

و لا ينقص من أجر الأصيل و المباشر شيء،

(وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ)

و مَنْ عاون غيره على أمر من الشر كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به و عاون عليه.

ففي هذا الحـــــــــث العظيم على :–

1–التعـــــــــاون على البر و التقوى،

2–و الــــــــــزجر العظيم عن التعاون على الإثم و العدوان،

و قرر ذلك بقوله: (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا)

أي: شاهدًا حفيظًا حسيبًا على هذه الأعمال، فيجازي كُلا ما يستحقه.

*****صحيح البخاري**

1432 – عن أَبِي بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ:

«اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَ يَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»( )

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

(﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾)

-التحيـــــــــة هي: -

اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام و الدعاء،

و ما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة و نحوها.

- و أعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء و ردًّا.

(﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ﴾)

فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حُيّوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظا و بشاشة، أو مثلها في ذلك.

- و مفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها.

- و يؤخذ من الآية الكريمة :-

الحث على ابتداء السلام و التحية من وجهيـــــــــن:-

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها،

(اشفعوا) توسلوا في قضاء حاجة من طلب أو سأل. (تؤجروا) يكن لكم مثل أجر قضاء حاجته]

و ذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعًا.

الثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل و هو « أحسن » الدال على مشاركة التحية و ردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك.

❍و يستثنى من عموم الآية الكريمة:-

1-من حيًّا بحال غير مأمور بها، ك

« على مشتغل بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصلٍ و نحو ذلك »

فإنه لا يطلب إجابة تحيته،

2-و كذلك يستثنى من ذلك من أمر الشارِع بهجره و عدم تحيته،

و هو العاصي غير التائب [الذي يرتدع بالهجر،]

فإنه يهجر و لا يُحيّا، و لا تُرد تحيته، و ذلك لمعارضة المصلحة الكبرى.

❍و يدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس و هي غير محظورة شرعًا،

فإنه مأمور بردّها وبأحسن منها،

***فَأَمَّا أَهْلُ الذِّمَّةِ فلا يُبْدؤون بِالسَّلَامِ وَ لَا يُزَادُونَ،

بَلْ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ،

صحيح البخاري

2935 -عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أَنَّ اليَهُودَ، دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَلَعَنْتُهُمْ،

فَقَالَ: «مَا لَكِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟

قَالَ: «فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَ عَلَيْكُمْ»( )

***سنن أبي داود

5205 - عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: -

خَرَجْتُ مَعَ أَبِي إِلَى الشَّامِ،

فَجَعَلُوا يَمُرُّونَ بِصَوَامِعَ فِيهَا نَصَارَى فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ،

فَقَالَ: أَبِي لَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ،

فَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: -

«لَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ،

وَ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِ الطَّرِيقِ»

ثم أوعد تعالى و توعد على فعل الحسنات و السيئات بقوله: –

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا)

فيحفظ على العباد أعمالهم، حسنها و سيئها، صغيرها و كبيرها

ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله و عدله و حكمه المحمود.

(السام) معناه الموت. (فلعنتهم) أي قالت عائشة فلعنت هؤلاء اليهود بسبب قولهم. (ما لك) أي شيء حصل لك حتى لعنتهم]

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ

حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن

تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا

كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ

فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا

ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن

يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ

يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ

يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ

يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ

ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ

حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾

(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ)

يخبر تعالى عـــــــن :-

1-انفـــــــــراده بالوحدانية

2-و أنــــــــه لا معبود و لا مألوه إلا هو لـــــــــ:-

كماله في ذاته و أوصافه

و لكونه المنفرد بالخلق و التدبير، و النعم الظاهرة و الباطنة.

و ذلك يستلزم الأمر بعبادته والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية.

لكونه المستحق لذلك وحده و المجازي للعباد بما قاموا به من عبوديته أو

تركوه منها،

و لذلك أقسم على وقوع محل الجزاء و هو يوم القيامة،

فقال: (لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ) أي: أولكم و آخِركم في مقام واحد.

في (إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ)

أي: لا شك و لا شبهة بوجه من الوجوه، ب[الدليل العقلي و الدليل السمعي]

فالدليل العقـــــــــلي :-

ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها،

و من وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أَوْلى منها بالإمكان،

و من الحكمة التي تجزم بأن الله لم يخلق خلقه عبثًا، يحيون ثم يموتون.

و أما الدليل السمـــــــــعي :-

فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه

و لهذا قال: (وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا)

*** لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ فِي حَدِيثِهِ وَ خَبَرِهِ، وَ وَعْدِهِ وَ وَعِيدِهِ،

فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

❍كذلك أمر رسوله ﷺأن يقسم عليه في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى:

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ

وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

و في قوله: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا)

إخبار بأن حديثه و أخباره و أقواله في أعلى مراتب الصدق، بل أعلاها.

فكل ما قيل في العقائد و العلوم و الأعمال مما يناقض ما أخبر الله به،

فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقين، فلا يمكن أن يكون حقًّا.

۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ

أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ

فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ

وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

405 - عَنْ زَيْد بْنِ ثَابِت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ،

وَ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ:-

1-فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ،

2-وَ فِرْقَةً تَقُولُ: لاَ نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ

{فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} [النساء:88]

و قَالَ: «إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ» (□)

(فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ)

المراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيـــــــــات:-

1-المنافقون المظهرون إسلامهم، و لم يهاجروا مع كفرهم،

و كان قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فيهم اشتباه،

فبعضهم تحرج عن قتالهم، و قطع موالاتهم بسبب ما أظهروه من الإيمان،

و بعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم فحكم بكفرهم.

(وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم)

*****ردهم و أوقعهم في الخطأ**

(بِمَا كَسَبُوٓاْ)

*****بسبب عصيانهم و مخالفتهم الرسول و اتباعهم الباطل**

(أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا)

*****لا طريق له إلي الهدي و لا مخلص له إليه**

(وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ)

(أركسهم بما كسبوا) أوقعهم في الخطأ وأهلكهم بسبب عصيانهم ومخالفتهم وأركسه قلبه ونسكه أي جعل أعلاه أسفله
(تنفي الذنوب) تظهر من يرتكب فيها الذنوب وتميزهم]

*** هُمْ يَوَدُّونَ لَكُمُ الضَّلَالَةَ لِتَسْتَوُوا أَنْتُمْ وَ إِيَّاهُمْ فِيهَا،
وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ وَ بُغْضِهِمْ لَكُمْ

فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتبهوا فيهم و لا تشكوا،

بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم،

و ودوا مع ذلك كفركم و أن تكونوا مثلهم. فإذا تحققتم ذلك منهم

(فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ)

و هذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة.

و يستلزم أيضا بغضهم و عداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر بضده،

(حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)

و هذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين،

كما كان النبي ﷺيجري أحكام الإسلام لكل مَنْ كان معه و هاجر إليه،

و سواء كان مؤمنا حقيقة أو ظاهر الإيمان.

*الجزائري : ظاهر هذا السياق أن هؤلاء المنافقين هم بمكة
و قوله تعالى: {حَتّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ} () :

الهجرة: هجرتان، هي لمنافقي المدينة. الخروج إلى الغزو مع رسول الله ﷺ.
وهجرة لمنافقي مكة، وهي إلى المدينة للإقامة بها.
والهجرة أنواع: منها ترك المعاصي، لحديث: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ورسوله"
ومنها هجرة الفساق وأهل البدع ليتوبوا من ذنوبهم.

لأن الهجرة إلى المدينة تقطع صلاتهم بدار الكفر فيفتر عزمهم ويراجعوا الصدق في إيمانهم فيؤمنوا

فإن هاجروا ثم تولوا عن الإيمان الصحيح إلى النفاق الكفر فأعلنوا الحرب عليهم

(فَإِن تَوَلَّوۡاْ)

و أنهم إن لم يهاجروا و تولوا عنها

***و قال آخرون :أظهروا كفرهم

(فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا)

أي: في أي وقت و أي محل كان،

و هذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء،

و المنازعون يقولون:-

هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ)

ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فِرَق:-

فرقتين أمر بتركهم و حتَّم على ذلك،

إحداهما: –من يصل إلى قوم بينهم و بين المسلمين عهد و ميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم و المال.

*** إلا الذين لجؤوا وَ تَحَيَّزُوا إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مُهَادَنَةٌ أَوْ عَقْدُ ذِمَّةٍ، فَاجْعَلُوا حُكْمَهُمْ كَحُكْمِهِمْ.

*** وَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ(2731) فِي قِصَّةِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ
فَكَانَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي صُلْحِ قُرَيْش وَ عَهْدِهِمْ،
وَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي صُلْحِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَعَهْدِهِمْ.

و الفرقة الثانية: قوم صفتهم

(أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ)

*** ضَيِّقَةٌ صُدُورُهُمْ مُبْغضين أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ،

وَ لَا يَهُونُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ،

بَلْ هُمْ لَا لَكُمْ وَ لَا عَلَيْكُمْ

❍أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم،

و لا بقتال قومهم،

و أحبوا ترك قتال الفريقين،

فهؤلاء أيضا أمر بتركهم، و ذكر الحكمة في ذلك في قوله:

(وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ)

***من لطفه بكم أن كفهم عنكم

فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقســــــــام: –

1–إما أن يكونوا معكم و يقاتلوا أعداءكم، و هذا متعذر من هؤلاء،

فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم و بين ترك قتال الفريقين،

و هو أهون الأمرين عليكم،

و الله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية،

و احمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن من ذلك.

(فَ) هؤلاء

(فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ)

***السلم:المسالمة

(فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا)

*** فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ، مَا دَامَتْ حَالُهُمْ كَذَلِكَ،

وَ هَؤُلَاءِ كَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا يَوْمَ بِدْرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ،

فَحَضَرُوا الْقِتَالَ وَ هُمْ كَارِهُونَ،

كَالْعَبَّاسِ وَ نَحْوِهِ،

وَ لِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ يومئذ عن قتل العباس و عبّر بأسره.

(سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا)

*** هَؤُلَاءِ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ كَمَنْ تَقَدَّمَهُمْ،
وَ لَكِنْ نِيَّةُ هَؤُلَاءِ غَيْرُ نِيَّةِ أُولَئِكَ،
فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مُنَافِقُونَ يُظْهِرُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَ لِأَصْحَابِهِ الْإِسْلَامَ؛
لِيَأْمَنُوا بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ وَ ذَرَارِيهِمْ
وَ يُصَانِعُونَ الْكُفَّارَ فِي الْبَاطِنِ،
فَيَعْبُدُونَ مَعَهُمْ مَا يَعْبُدُونَ، لِيَأْمَنُوا بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ،
وَ هُمْ فِي الْبَاطِنِ مَعَ أُولَئِكَ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } [الْبَقَرَةِ: 14]

الفرقة الثالثة:– قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر عن احترامكم،

و هم الذين قال الله فيهم: (سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ)

أي: من هؤلاء المنافقين.

(يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ) أي: خوفا منكم

(وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ)

*الميسر:كلما أعيدوا إلى موطن الكفر والكافرين، وقعوا في أسوأ حال

(أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ)

أَيْ: انْهَمَكُوا فِيهَا.

أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم و نفاقهم،

و كلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن أعماهم و نكسهم على رءوسهم،

و ازداد كفرهم و نفاقهم،

و هؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، و في الحقيقة مخالفة لها.

❍فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احترامًا لهم لا خوفا على أنفسهم،

❍و أما هذه الفرقة فتركوه خوفا لا احتراما

بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها،

☼فهؤلاء إن لم يتبين منهم و يتضح اتضاحًا عظيمًا اعتزال المؤمنين

و ترك قتالهم، فإنهم يقاتلون،

و لهذا قال: (فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ)

*الميسر:فهؤلاء إن لم ينصرفوا عنكم

(وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ)

*يقدموا اليكم

(ٱلسَّلَمَ):أي: المسالمة و الموادعة

***المهادنة و الصلح

(وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ)

***عن القتال

(فَخُذُوهُمۡ)

***أُسراء

(وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ)

***أين لقيتموهم

(وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا)

***بيِّنا واضحا

أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلوموا إلا أنفسهم.

وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ
رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ
عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ
فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ
خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ
كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ
رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ
عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ

بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾

(وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ)

***** صحيح البخاري**

6878 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ:-

1- النَّفْسُ بِالنَّفْسِ،

2-وَ الثَّيِّبُ الزَّانِي،

3-وَ المَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "( )

*****ثُمَّ إِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ،**

فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ آحَادِ الرَّعِيَّةِ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ.

❍هذه الصيغة من صيغ الامتناع،

(لا يحل دم امرئ) لا يباح قتله

(النفس بالنفس) تزهق نفس القاتل عمدا بغير حق بمقابلة النفس التي أزهقها

(الثيب الزاني) الثيب من سبق له زواج ذكرا أم أنثى فيباح دمه إذا زنى

(المفارق) التارك المبتعد وهو المرتد. وفي رواية (والمارق من الدين) وهو الخارج منه خروجا سريعا

(التارك للجماعة) المفارق لجماعة المسلمين]

أي: يمتنع و يستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي:–متعمدا،

❍و في هذا الإخبارُ بشدة تحريمه و أنه مناف للإيمان أشد منافاة،

❍و إنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصا عظيما،

و يخشى عليه ما هو أكبر من ذلك،

فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه و بينه الأخوة الإيمانية التي من مقتضـــــــــاها:–

1– محبتـــــــــه و موالاته،

2–و إزالـــــــــة ما يعرض لأخيه من الأذى،

و أي أذى أشد من القتل؟ وهذا يصدقه قوله ﷺ:

« لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض »

فَعُلِمَ أن القتل من الكفر العملي و أكبر الكبائر بعد الشرك بالله.

و لما كان قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا﴾

لفظا عاما لجميع الأحوال،

و أنه لا يصدر منه قتل أخيه بوجه من الوجوه،

استثنى تعالى قتل الخطأ فقال: ﴿إِلَّا خَطَـٔٗا﴾

فإن المخطئ الذي لا يقصد القتل غير آثم،

و لا مجترئ على محارم الله،

و لكنه لما كان قد فعل فعلا شنيعًا و صورته كافية في قبحه

و إن لم يقصده أمر تعالى بالكفارة و الدية

فقال: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـًٔا﴾

سواء كان القاتل ذكرًا أو أنثى حرًّا أو عبدًا، صغيرًا أو كبيرًا، عاقلا أو مجنونًا،

مسلمًا أو كافرًا، كما يفيده لفظ « مَنْ » الدالة على العموم

و هذا من أسرار الإتيان بـ « مَنْ » في هذا الموضع،

فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول:-

فإن قتله، و لكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله « مَنْ »

و سواء كان المقتول ذكرًا أو أنثى، صغيرًا أو كبيرًا،

كما يفيده التنكير في سياق الشرط،

فإن على القاتل ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾

كفارة لذلك، تكون في ماله،

و يشمل ذلك الصغير و الكبير، و الذكر و الأنثى، و الصحيح و المعيب،

في قول بعض العلماء.

❍و لكن الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عتق المعيب في الكفارة؛

لأن المقصود بالعتق نفع العتيق، و ملكه منافع نفسه،

فإذا كان يضيع بعتقه، و بقاؤه في الرق أنفع له

فإنه لا يجزئ عتقه، مع أن في قوله:-

(تحرير رقبة) ما يدل على ذلك؛

فإن التحرير: تخليص من استحقت منافعه لغيره أن تكون له،

فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير.

فتأمل ذلك فإنه واضح.

❍و أما الدية فإنها تجب على عاقلة القاتل في الخطأ و شبه العمد.

(وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ)

***صحيح البخاري

6904 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«أَنَّ امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ، رَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى فَطَرَحَتْ جَنِينَهَا،

فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا بِغُرَّةٍ، عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ»

❍جبرًا لقلوبهم، و المراد بأهله هنا هم ورثته،

فإن الورثة يرثون ما ترك، الميت، فالدية داخلة فيما ترك

و للدية تفاصيل كثيرة مذكورة في كتب الفقه.

و قوله: (إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ)

أي: يتصدق ورثة القتيل بالعفو عن الدية، فإنها تسقط،

و في ذلك حث لهم على العفو لأن الله سماها صدقة،

و الصدقة مطلوبة في كل وقت.

(فَإِن كَانَ)

المقتول

(مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ)

أي: من كفار حربيين

(وَهُوَ مُؤۡمِنٞ)

أي: و ليس عليكم لأهله دية، لعدم احترامهم في دمائهم و أموالهم.

(فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ)

***و علي القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير

(وَإِن كَانَ) المقتول

(مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ)

و ذلك لاحترام أهله بما لهم من العهد و الميثاق.

***إن كان مؤمنًا فدية كاملة و تحرير رقبة مؤمنة

(فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ)

الرقبة و لا ثمنها، بأن كان معسرا بذلك، ليس عنده ما يفضل عن مؤنته

و حوائجه الأصلية شيء يفي بالرقبة،

(فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ)

أي: لا يفطر بينهما من غير عذر،

فإن أفطر لعذر فإن العذر لا يقطع التتابع، كالمرض و الحيض و نحوهما.

و إن كان لغير عذر انقطع التتابع و وجب عليه استئناف الصوم.

(تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ)

أي: هذه الكفارات التي أوجبها الله على القاتل:-

توبة من الله على عباده

و رحمة بهم،

و تكفير لما عساه أن يحصل منهم من تقصير و عدم احتراز،

كما هو واقع كثيرًا للقاتل خطأ.

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

أي: كامل العلم كامل الحكمة،

لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء،

و لا أصغر من ذلك و لا أكبر، في أي وقت كان و أي محل كان.

و لا يخرج عن حكمته من المخلوقات و الشرائع شيء،

بل كل ما خلقه و شرعه فهو متضمن لغاية الحكمة،

و من علمـــــه و حكمتــــــه أن :-

1-أوجب على القاتل كفارة مناسبة لما صدر منه،

فإنه تسبب لإعدام نفس محترمة، و أخرجها من الوجود إلى العدم،

فناسب أن يعتق رقبة و يخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية التامة،

-فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين،

فأخرج نفسه من رق الشهوات و اللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعبد لله تعالى بتركها تقربا إلى الله.

و مدها تعالى بهذه المدة الكثيرة الشاقة في عددها و وجوب التتابع فيها،

و لم يشرع الإطعام في هذا الموضع لعدم المناسبة. بخلاف الظهار، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

2-و من حكمته أن أوجب في القتل الدية و لو كان خطأ،

لتكون رادعة و كافة عن كثير من القتل باستعمال الأسباب العاصمة عن ذلك.

3-و من حكمته أن وجبت على العاقلة في قتل الخطأ، بإجماع العلماء

لكون القاتل لم يذنب فيشق عليه أن يحمل هذه الدية الباهظة

فناسب أن يقوم بذلك من بينه و بينهم المعاونة و المناصرة و المساعدة على تحصيل المصالح و لف المفاسد

و لعل ذلك من أسباب منعهم لمن يعقلون عنه من القتل حذرًا من تحميلهم

و يخف عنهم بسبب توزيعه عليهم بقدر أحوالهم و طاقتهم،

و خففت أيضا بتأجيلها عليهم ثلاث سنين.

4-و من حكمته و علمه أن جبر أهل القتيل عن مصيبتهم،

بالدية التي أوجبها على أولياء القاتل.

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا

وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

*** وَ هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَ وَعِيدٌ أَكِيدٌ لِمَنْ تَعَاطَى هَذَا الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، الَّذِي هُوَ مَقْرُونٌ بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، حَيْثُ يَقُولُ، سُبْحَانَهُ، فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ الفرقان: ٦٨

*** صحيح البخاري

6864 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

« أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ»

تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن،

و أن القتل من الكفر العملي،

و ذكر هنا وعيد القاتل عمدا، وعيدا ترجف له القلوب و تنصدع له الأفئدة،

و تنزعج منه أولو العقول.

فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل و لا مثله،

ألا و هو الإخبار بأن جزاءه جهنم،

أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يُجازى صاحبه بجهنم،

بما فيها من العذاب العظيم، و الخزي المهين، و سخط الجبار، و فوات الفوز و الفلاح، و حصول الخيبة والخسار.

فعياذًا بالله من كل سبب يبعد عن رحمته.

و هذا الوعيد له حكم أمثاله من نصوص الوعيد،

على بعض الكبائر والمعاصي بالخلود في النار، أو حرمان الجنة.

❍و قد اختلف الأئمة رحمهم الله في تأويلها مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج و المعتزلة الذين يخلدونهم في النار و لو كانوا موحدين.

❍و الصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق:-

شمس الدين بن القيم رحمه الله في « المدارج »

فإنه قال - بعدما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك و انتقدها فقـــــال:-

و قالت فِرقَة: هذه النصوص و أمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة،

و لا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده،

فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه.

و غاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة و مقتض لها،

و قد قام الدليل على ذكر الموانع :–

فبعضها بالإجماع،

و بعضها بالنص.

فالتوبة مانع بالإجماع،

❍و التوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها،

و الحسنات العظيمة الماحية مانعة،

و المصائب الكبار المكفرة مانعة،

و إقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص،

و لا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص

فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين.

و من هنا قامت الموازنة بين الحسنات و السيئات،

اعتبارًا بمقتضي العقاب و مانعه، و إعمالا لأرجحها.

قالوا: و على هذا بناء مصالح الدارين و مفاسدهما.

و على هذا بناء الأحكام الشرعية و الأحكام القدرية،

و هو مقتضى الحكمة السارية في الوجود،

و به ارتباط الأسباب و مسبباتها خلقا و أمرا،
و قد جعل الله سبحانه لكل ضد ضدا يدافعه و يقاومه،
و يكون الحكم للأغلب منهما.
فالقوة مقتضية للصحة و العافية، و فساد الأخلاط و بغيها مانع من عمل الطبيعة، و فعل القوة و الحكم للغالب منهما،
و كذلك قوى الأدوية و الأمراض.
و العبد يكون فيه مقتض للصحة و مقتض للعطب،
و أحدهما يمنع كمال تأثير الآخر و يقاومه،
فإذا ترجح عليه و قهره كان التأثير له.
❍ومِنْ هنا يعلم انقسام الخلق إلى مَنْ يدخل الجنة و لا يدخل النار، و عكسه،
❍و مَنْ يدخل النار ثم يخرج منها و يكون مكثه فيها بحسب ما فيه من مقتضى المكث في سرعة الخروج و بطئه.
و من له بصيرة منورة يرى بها كل ما أخبر الله به في كتابه من أمر المعاد و تفاصيله، حتى كأنه يشاهده رأي عين.
و يعلم أن هذا هو مقتضى إلهيته سبحانه، و ربوبيته و عزته و حكمته
و أنه يستحيل عليه خلاف ذلك،

و نسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه،

فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته كنسبة الشمس و النجوم إلى بصره.

و هذا يقين الإيمان، و هو الذي يحرق السيئات، كما تحرق النار الحطب،

و صاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات،

و إن وقعت منه و كثرت،

فإن ما معه من نور الإيمان يأمره بتجديد التوبة كل وقت بالرجوع إلى الله في عدد أنفاسه،

و هذا من أحب الخلق إلى الله.

انتهى كلامه قدس الله روحه، و جزاه عن الإسلام و المسلمين خيرا.

*** وَ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَ خَلَفِهَا:-

أَنَّ الْقَاتِلَ لَهُ تَوْبَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

فَإِنْ تَابَ وَ أَنَابَ وَ خَشَعَ وَ خَضَعَ، وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا،

بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ، وَ عَوَّضَ الْمَقْتُولَ مِنْ ظُلَامَتِهِ وَ أَرْضَاهُ عَنْ طِلَابَتِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] }

[الْفُرْقَانِ: 68، 69] وَ هَذَا خَبَرٌ لَا يَجُوزُ نَسْخُهُ.

وَ حَمْلُهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ،

وَ حَمْلُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ خِلَافُ الظَّاهِرِ،
وَ يَحْتَاجُ حَمْلُهُ إِلَى دَلِيلٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ [إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزُّمَرِ:53]
وَ هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الذُّنُوبِ، مِـــــــــنْ:-
كُفْرٍ وَ شِرْكٍ، وَ شَكٍّ وَ نِفَاقٍ، وَ قَتْلٍ وَ فِسْقٍ، وَ غَيْرِ ذَلِكَ:-
كُلُّ مَنْ تَابَ مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.
وَ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النِّسَاءِ: 48] .
فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الذُّنُوبِ مَا عَدَا الشِّرْكَ،
وَ هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ وَ قَبْلَهَا،
لِتَقْوِيَةِ الرَّجَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ خَبَرُ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا:
هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟!
ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى بَلَدٍ يَعْبد اللَّهَ فِيهِ، فَهَاجَرَ إِلَيْهِ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ،
فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.
كَمَا ذَكَرْنَاهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، إِنْ كَانَ هَذَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلأن يَكُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى؛
لِأَنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنَّا الْأَغْلَالَ وَ الْآصَارَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، وَ بَعَثَ نَبِيَّنَا بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ.
فَأَمَّا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا]

*** وَ بِتَقْدِيرِ دُخُولِ الْقَاتِلِ إِلَى النَّارِ،
أَمَّا عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ مَنْ وَافَقَهُ أَنَّهُ لَا تَوْبَةَ لَهُ،
أَوْ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ حَيْثُ لَا عَمَلَ لَهُ صَالِحًا يَنْجُو بِهِ،
فَلَيْسَ يَخْلُدُ فِيهَا أَبَدًا، بَلِ الْخُلُودُ هُوَ الْمُكْثُ الطَّوِيلُ.
وَقَدْ تَوَارَدَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:
أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4591 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

{وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء:94]

قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ،

فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النساء:94] تِلْكَ الغُنَيْمَةُ " قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ السَّلاَمَ(1)

* مسند أحمد ط الرسالة

2388 - عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ قَالَ:

بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِضَمَ،

فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، وَمُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بْنِ قَيْسٍ "،

فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ مَرَّ بِنَا عَامِرٌ الْأَشْجَعِيُّ عَلَى قَعُودٍ، لَهُ مَعَهُ مُتَيِّعٌ وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ،

فَلَمَّا مَرَّ بِنَا، سَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، فَقَتَلَهُ بِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَيِّعَهُ،

فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}

[النساء:94]

---

(1) (ألقى إليكم السلام) نطق بالشهادتين أو حياكم بتحية الإسلام. (لست مؤمنا) أي تقولون لم يؤمن حقيقة إنما نطق بالإسلام تقية (غنيمته) تصغير غنم أي قطيع صغير من الغنم. (قال) أي عطاء. (السلام) أي بإثبات الألف]

❍يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله و ابتغاء مرضاته أن يتبينوا و يتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة.

فإن الأمـــــور قسمـــــان:-

1-واضحـــــــة

2-و غير واضحـــــــة.

فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت و تبين،

لأن ذلك تحصيل حاصل.

و أما الأمور المشكلة غير الواضحة

فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها و التبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟

❍فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة،

و الكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد و عقله و رزانته،

بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها،

فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الذين عاتبهم الله في الآية لمَّا لم يتثبتوا و قتلوا من سلم عليهم، و كان معه غنيمة له أو مال غيره،

ظنًّا أنه يستكفي بذلك قتلَهم،

و كان هذا خطأ في نفس الأمر،

فلهذا عاتبهم بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ﴾

أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل على ارتكاب ما لا ينبغي فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي،

فما عند الله خير و أبقى.

❍و في هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى و هي مضرة له، أن يُذَكِّرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها،

و قدَّم مرضاة الله على رضا نفسه،

فإن في ذلك ترغيبًا للنفس في امتثال أمر الله،

و إن شق ذلك عليها.

ثم قال تعالى مذكرًا لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام:

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾

أي: فكما هداكم بعد ضلالكم فكذلك يهدي غيركم،

و كما أن الهداية حصلت لكم شيئًا فشيئًا، فكذلك غيركم.

❍فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، و معاملته لمن كان – على مثلها بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى،

و دعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة – من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه،

و لهذا أعاد الأمر بالتبين فقال: (فَتَبَيَّنُوٓا۟) .

فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، و مجاهدة أعداء الله،

و قد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأمورًا بالتبين لمن ألقى إليه السلام،

و كانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوذا من القتل و خوفا على نفسه –

فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين و التثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد،

حتى يتضح له الأمر و يتبين الرشد و الصواب.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)

فيجازي كُلا ما عمله و نواه، بحسب ما علمه من أحوال عباده و نياتهم.

لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ
قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ
مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا
يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن
يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ
خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾

لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾

دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

(لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول()

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ،

أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ فِي المَسْجِدِ،

فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ،

فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺأَمْلَى عَلَيْهِ:-

{لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ} [النساء:95]

{وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء:95]،

فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، قَالَ:-

يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَ كَانَ أَعْمَى،

«فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَ فَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي،

فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ»،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ)()

صحيح البخاري

395 –عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ:

صحيح البخاري 4592

(لا يستوي) أي في الأجر والمنزلة عند الله تعالى (يملها) يقرؤها علي لأكتبها. (ترض) تدق. (سري) انكشف عنه الوحي وذهب ما كان يعاني من شدته]

{لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنينَ} [النساء:95]
عَنْ بدْرٍ، وَ الخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ "()

***صَارَ ذَلِكَ مَخْرَجًا لِذَوِي الْأَعْذَارِ الْمُبِيحَةِ لِتَرْكِ الْجِهَادِ -مِنَ الْعَمَى و العَرَجِ وَ الْمَرَضِ-عَنْ مُسَاوَاتِهِمْ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ.

***ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِفَضِيلَةِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ،
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}

صحيح البخاري

2839 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ:
«إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَ لاَ وَادِيًا إِلَّا وَ هُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ» ( )

❍أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه و ماله

و من لم يخرج للجهاد و لم يقاتل أعداء الله،

❍ففيه الحث على الخروج للجهاد، و الترغيب في ذلك،

و الترهيب من التكاسل و القعود عنه من غير عذر.

❍و أما أهل الضرر لـــــــــ:-

(لا يستوي) أي في الأجر والمنزلة عند الله عز وجل. (القاعدون) الذين قعدوا في بيوتهم وبلادهم ولم يخرجوا إلى الجهاد

(شعبا) طريقا في الجبل. (معنا فيه) بقلوبهم ونيتهم فهم معنا في الأجر والثواب. (حبسهم) منعهم من الخروج. (العذر) من مرض أو عدم نفقة أو غير ذلك. (الأول) السند الأول الذي فيه حميد عن أنس]

1-المـــــــريض

2-و الأعمـــــــى

3-و الأعـــــــرج

4-و الـــــــذي لا يجد ما يتجهز به،

فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر،

فمن كان من أولي الضرر راضيًا بقعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، و لا يُحَدِّث نفسه بذلك،

فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر.

❍و من كان عازمًا على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك و يُحَدِّث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد،

لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل.

(فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ)

ثم صرَّح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي:- الرفعة، و هذا تفضيل على وجه الإجمال،

ثم صرح بذلك على وجه التفصيل،

و وعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم،

و الرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، و اندفاع كل شر.

و الدرجات التي فصلها النبي ﷺ بالحديث الثابت عنه في « الصحيحين »

أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض،

أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

***صحيح البخاري

2790 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَ أَقَامَ الصَّلاَةَ، وَ صَامَ رَمَضَانَ:-

كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»،

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟

قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،

فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،

فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَ أَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،

وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ( )

❍و هذا الثواب الذي رتبه الله على الجهاد،

نظير الذي في سورة الصف في قوله:

(الفردوس) هو البستان الذي يجمع ما في البساتين كلها من شجر وزهر ونبات. (أوسط الجنة) أفضلها وخيرها. (أراه) أظنه وهذا من كلام يحيى بن صالح شيخ البخاري أي أظنه قال (فوقه. .) (تفجر) تنشق]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) إلى آخر السورة

❍و تأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها

فإنه نفى التسوية أولا بين المجاهد و غيره

(دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً)

ثم صرَّح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة و الرحمة و الدرجات

❍و هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها عند التفضيل و المدح أو النزول من حالة إلى ما دونها عند القدح و الذم – أحسن لفظا و أوقع في النفس

❍و كذلك إذا فضَّل تعالى شيئا على شيء و كل منهما له فضل احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا

(وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ)

*الميسر :الجنة

و كما قال تعالى في الآيات المذكورة في الصف في قوله:–

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)

و كما في قوله تعالى

(لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ)

أي ممن لم يكن كذلك

ثم قال (وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى)

و كما قال تعالى

(فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)

فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص و الطوائف و الأعمال أن يتفطن لهذه النكتة

و كذلك لو تكلم في ذم الأشخاص و المقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض لئلا يتوهم أن المفضَّل قد حصل له الكمال كما إذا قيل النصارى خير من المجوس فليقل مع ذلك و كل منهما كافر

و القتل أشنع من الزنا و كل منهما معصية كبيرة

حرمها الله و رسوله و زجر عنها

❍و لما وعد المجاهدين بالمغفرة و الرحمة الصادرَيْن عن اسميه الكريمين (الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ختم هذا الآية بهما فقال:-

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) .

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

459 - عن ابْنُ عَبَّاسٍ:

«أَنَّ نَاسًا مِنَ المُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ المُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ المُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ - أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ» -

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} [النساء:97] الآيَةَ (1)

❍هذا الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات،

فإن الملائكة الذين يقبضون روحه يوبخونه بهذا التوبيخ العظيم،

(قطع على أهل المدينة بعث) ألزموا بإخراج جيش لقتال أهل الشام وذلك في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على مكة. (فاكتتبت فيه) جعلت في عداد من يخرج مع هذا الجيش. (يكثرون سواد المشركين) جماعتهم أي مع أنهم لا يوافقونهم في قلوبهم كانوا ظالمين لأنهم أفادوهم قوة بوجودهم معهم. والسواد العدد الكثير وسواد الناس معظمهم وأكثرهم]

و يقولون لهم: (فِيمَ كُنتُمۡۖ)

أي: على أي حال كنتم؟

و بأي شيء تميزتم عن المشركين؟

بـــــــل:-

1-كـــــــــثرتم سوادهم،

2-و ربمـــــــا ظاهرتموهم على المؤمنين،

3-و فـــــــاتكم الخير الكثير،

و الجـــــــهاد مع رسوله،

و الكــــــــون مع المسلمين،

و معـــــــــاونتهم على أعدائهم.

(قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ)

أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا قدرة على الهجرة.

و هم غير صادقين في ذلك لأن الله وبخهم و توعدهم،

و لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، و استثنى المستضعفين حقيقة.

و لهذا قالت لهم الملائكة: –

(أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ)

و هذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة،

فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه،

فإن له متسعًا و فسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى:

(يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)

قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم:

(فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا)

و هذا كما تقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجِب،

فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه و انتفاء موانعه،

و قد يمنع من ذلك مانع.

و في الآيـــــــــة دليل على:-

1-أن الهجرة من أكبر الواجبات،

و تركها من المحرمات، بل من الكبائر،

2-و في الآية دليل على أن كل مَن توفي فقد استكمل و استوفى ما قدر له من الرزق و الأجل و العمل،

و ذلك مأخوذ من لفظ « التوفي » فإنه يدل على ذلك،

لأنه لو بقي عليه شيء من ذلك لم يكن متوفيًا.

3-و فيه الإيمان بالملائكة و مدحهم،

لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير و الاستحسان منهم،

و موافقته لمحله.

(إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً)

ثم استثنى المستضعفين على الحقيقة،

[الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه]

*الجزائري: لا قدرة لهم على التحول و الانتقال لضعفهم

(وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) .

***طريقا

فهؤلاء قال الله فيهم: (فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)

و « عسى » و نحوها واجب وقوعها من الله تعالى بمقتضى كرمه و إحسانه،

و في الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة،

و هو أنه قد لا يوفيه حق توفيته،

و لا يعمله على الوجه اللائق الذي ينبغي،

بل يكون مقصرًا فلا يستحق ذلك الثواب. و الله أعلم.

❍و في الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور من واجب و غيره

فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد:

(لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ)

و قال في عموم الأوامر(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)

و قال النبي ﷺ: « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »

و لكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده و انسدت عليه أبواب الحيل لقوله:

(لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً)

❍و في الآية تنبيه على أن الدليل في الحج و العمرة و نحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة.

***صحيح البخاري

1006 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:-

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ، يَقُولُ: "

اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ،

اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ،

اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ،

اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ،

اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ،

اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ:

وَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا وَ أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ ( )

(اشدد وطأتك) شدد عقوبتك. (مضر) المراد قريش. (اجعلها سنين كسني يوسف) في الشدة والقحط والبلاء. (غفار) قبيلة من كنانة. (أسلم) قبيلة من خزاعة]

وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾

(وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ)

*** صحيح البخاري

4587 - عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ:

«كُنْتُ أَنَا وَ أُمِّي مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ»

*** عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ بْنِ الْعِيصِ الزُّرَقِي، الَّذِي كَانَ مُصَابَ الْبَصَرِ، وَ كَانَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا نَزَلَتْ:

{إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً}

فَقُلْتُ: إِنِّي لَغَنِيٌّ، وَ إِنِّي لَذُو حِيلَةٍ، قَال :-

فَتَجَهَّزَ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ بِالتَّنْعِيمِ،

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }

❍هذا في بيان الحث على الهجرة و الترغيب،

و بيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغما في الأرض و سعة،

فالمراغم مشتمل على مصالح الدين، و السعة على مصالح الدنيا.

و ذلك أن كثيرًا من الناس يتوهم أن في الهجرة:-

شتـــــــاتًا بعد الألفة،

و فقـــــــرًا بعد الغنى،

و ذلا بعد العـــــــز،

و شـــــــدة بعد الرخاء.

و الأمر ليس كذلك

فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه في غاية النقص،

لا في العبادات القاصرة عليه كالصلاة و نحوها،

و لا في العبادات المتعدية كالجهاد بالقول و الفعل، و توابع ذلك،

لعدم تمكنه من ذلك، و هو بصدد أن يفتن عن دينه،

خصوصا إن كان مستضعفًا.

فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله و جهاد أعداء الله

و مراغمتهم،

❍فإن المراغمة:-

1-اسم جامع لكل ما يَحصل به إغاظة لأعداء الله من قول و فعل،

و كذلك ما يحصل له سعة في رزقه،

2* مُتَزَحْزَحًا عَمَّا يُكْرَهُ.**

3-{مُرَاغَمًا كَثِيرًا} يَعْنِي: بُرُوجًا.

و الظَّاهِرُ -وَ اللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّهُ التَّمَنُّعُ الَّذِي يُتَحصَّن بِهِ، وَ يُرَاغَمُ بِهِ الْأَعْدَاءُ.

و قد وقع كما أخبر الله تعالى.

و اعتبر ذلك بالصحابة رضي الله عنهم:-

فإنهم لما هاجروا في سبيل الله و تركوا ديارهم و أولادهم و أموالهم لله،

← كمل بذلك إيمانهم و حصل لهم من الإيمان التام و الجهاد العظيم و النصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم،

و كذلك حصل لهم مما يترتب على ذلك من الفتوحات و الغنائم، ما كانوا به أغنى الناس،

و هكذا كل من فعل فعلهم، حصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة.

ثم قال: (وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ)

أي: قاصدا ربه و رضاه، و محبة لرسوله و نصرًا لدين الله،

لا لغير ذلك من المقاصد

(ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ) بقتل أو غيره،

(فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ)

*** وَ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ بِنِيَّةِ الْهِجْرَةِ، فَمَاتَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ،
فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ اللَّهِ ثَوَابُ مَنْ هَاجَرَ،
كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَ غَيْرِهِمَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إنما الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،
وَ إِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ،
فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ،
وَ مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا،
فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" .
○وَ هَذَا عَامٌّ فِي الْهِجْرَةِ وَفِي كُلِّ الْأَعْمَالِ.
وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. ثُمَّ أَكْمَلَ بِذَلِكَ الْعَابِدِ الْمِائَةَ،
ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟
فَقَالَ: وَمَنْ يَحُول بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟
ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخرَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ مِنْ بَلَدِهِ مُهَاجِرًا إِلَى الْبَلَدِ الْآخَرِ، أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ،
فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ،
فَقَالَ هَؤُلَاءِ: إِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا. وَقَالَ هَؤُلَاءِ: إِنَّهُ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ.
فَأُمِرُوا أَنَّ يَقِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَقْرَبُ كَانَ مِنْهَا،
فَأَمَرَ اللَّهُ هَذِهِ أَنْ يُقرب مِنْ هَذِهِ،
وَهَذِهِ أَنْ تَبْعُدَ فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.
وَ فِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ الْمَوْتُ نَاءَ بِصَدْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا.
○أي: فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى،

و ذلك لأنه نوى و جزم، و حصل منه ابتداء و شروع في العمل،

فمن رحمة الله به و بأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملا و لو لم يكملوا العمل، و غفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة و غيرها.

و لهذا ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين

فقال: (وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا)

يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصا التائبين المنيبين إلى ربهم.

(رَّحِيمًا) بجميع الخلق رحمة أوجدتهم و عافتهم و رزقتهم من المال و البنين و القوة، و غير ذلك.

رحيمًا بالمؤمنين حيث وفقهم للإيمان،

و علمهم من العلم ما يحصل به الإيقان،

و يسر لهم أسباب السعادة و الفلاح و ما به يدركون غاية الأرباح،

و سيرون من رحمته و كرمه

[ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر]

فنسأل الله أن لا يحرمنا خيره بشر ما عندنا.

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

هاتان الآيتان أصل في رخصة القصر، و صلاة الخوف، يقول تعالى:

(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ)

***كقوله ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ المزمل: ٢٠

أي: في السفـــــــــر،

و ظاهر الآية أنه يقتضي الترخص في أي سفر كان و لو كان سفر معصية،

كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله،

و خالف في ذلك الجمهور، و هم الأئمة الثلاثة و غيرهم،

فلم يجوزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصا للآية بالمعنى و المناسبة،

فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا و يفطروا،

و العاصي بسفره لا يناسب حاله التخفيف.

وقوله: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ)

أي: لا حرج و لا إثم عليكم في ذلك،

و لا ينافي ذلك كون القصر هو الأفضل،

لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس،

بل و لا ينافي الوجوب كما تقدم ذلك في سورة البقرة في قوله:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية.

و إزالة الوهم في هذا الموضع ظاهرة،

لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة،

و لا يزيل هذا عن نفوس أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه.

و يدل على أفضلية القصر على الإتمام أمـــــــــران: –

أحدهما: ملازمة النبي ﷺ على القصر في جميع أسفاره.

و الثاني: أن هذا من باب التوسعة و الترخيص والرحمة بالعباد،

و الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته.

وقوله: ﴿ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ ﴾

و لم يقل أن تقصروا الصلاة فيه فـــــــــائدتان:–

1– أنه لو قال أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود،

فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة و جعلها ركعة واحدة لأجزأ،

فإتيانه بقوله: ﴿ مِنَ الصَّلاةِ ﴾

ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي ﷺ و أصحابه.

2– أن ﴿ من ﴾ تفيد التبعيض ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها،

فإن الفجر والمغرب لا يقصران و إنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين.

فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة،

فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد،

و هو قوله: (إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ)

الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما،

[السفر مع الخوف.]

و يرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله:–

(أَنْ تَقْصُرُوا)

قصر العدد فقط؟

أو قصر العدد والصفة؟

فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول.

و قد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

حتى سأل عنه النبي ﷺفقال: يا رسول الله ما لنا نقصر الصلاة و قد أَمِنَّا؟

أي: و الله يقول: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فقال رسول الله ﷺ:

« صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » أو كما قال.

فعلى هذا يكون هذا القيد أتى به نظرا لغالب الحال التي كان النبي

ﷺو أصحابه عليها، فإن غالب أسفاره أسفار جهاد.

و فيه فائدة أخرى:–

و هي بيان الحكمة و المصلحة في مشروعية رخصة القصر،

فبيَّن في هذه الآية أنهى ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة،

و هي اجتماع السفر و الخوف،

و لا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة.

و أما على الوجه الثاني:–

و هو أن المراد بالقصر:–

قصر العدد و الصفة فإن القيد على بابه،

فإذا وجد السفر و الخوف، جاز قصر العدد، و قصر الصفة،

و إذا وجد السفر وحده جاز قصر العدد فقط، أو الخوف وحده

جاز قصر الصفة و لذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله:

*** صحيح مسلم

(686) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَابَيْهِ، عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ:-

قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ:

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ، فَقَالَ:-

عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺعَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ

«صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»

*** صحيح البخاري

1081 - عن أَنَس يَقُولُ: " خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ، قُلْتُ: أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئًا؟ قَالَ: أَقَمْنَا بِهَا عَشْرًا "( )

***صحيح البخاري

1083 - عن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، قَالَ:

«صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ آمَنَ مَا كَانَ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ»( )

***صحيح البخاري

1102 عن ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: «صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ لاَ يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ، وَ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَ عُثْمَانَ كَذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»

***فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ صَرِيحًا عَلَى أَنَّ الْقَصْرَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ وُجُودُ الْخَوْفِ

و اعتضدوا أيضا بما رواه مالك

صحيح البخاري

1090 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

(ركعتين ركعتين) أي إلا المغرب فإنه يصليها ثلاثا]

(آمن ما كان) أي وهو حال من الأمن أكثر من أي وقت آخر

«الصَّلَاةُ أَوَّلُ مَا فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَ أُتِمَّتْ صَلَاةُ الحَضَرِ»
قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَقُلْتُ لِعُرْوَةَ: مَا بَالُ عَائِشَةَ تُتِمُّ؟
قَالَ: «تَأَوَّلَتْ مَا تَأَوَّلَ عُثْمَانُ»( )
***صحيح مسلم
(687) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:
«فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا،
وَ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ،
وَ فِي الْخَوْفِ رَكْعَةً»
***فَهَذَا ثَابِتٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
وَ لَا يُنَافِي مَا تَقَدَّمَ عَنْ عَائِشَةَ لِأَنَّهَا أَخْبَرَتْ أَنَّ أَصْلَ الصَّلَاةِ رَكْعَتَانِ،
وَ لَكِنْ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ،
فَلَمَّا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ صَحَّ أَنْ يُقَالَ:-
إِنَّ فَرْضَ صَلَاةِ الْحَضَرِ أَرْبَعٌ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(تأولت ما تأول عثمان) فهمت منه ما فهمه عثمان رضي الله عنه من جواز القصر والإتمام]

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ
أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ
يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ
تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ
وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ
ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن
تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ
لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ
أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ

يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

(وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ)

أي: صليت بهم صلاة تقيمها و تتم ما يجب فيها و يلزم، فعلمهم ما ينبغي لك و لهم فعله.

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

مسند أحمد

1658 - عَنْ أَبِي عَيّاشٍ الزُّرَقِيّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِعُسْفَانَ فَاسْتَقْبَلَنَا الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ،

«فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ الظُّهْرَ» ،

فَقَالُوا: قَدْ كَانُوا عَلَى حَالٍ لَوْ أَصَبْنَا غِرّتَهُمْ، ثُمّ قَالُوا:-

تَأْتِي عَلَيْهِمُ الْآنَ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ،

قَالَ: " فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصّلَاةَ} [النساء102] ،

قَالَ: فَحَضَرَتْ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَأَخَذُوا السِّلَاحَ،

قَالَ: فَصَفَفْنَا خَلْفَهُ صَفَّيْنِ، قَالَ:-
ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ فَرَفَعْنَا جَمِيعًا،
ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺبِالصَّفِّ الَّذِي يَلِيه، وَالْآخَرُونَ قِيَامٌ يَحْرُسُونَهُمْ،
فَلَمَّا سَجَدُوا وَقَامُوا جَلَسَ الْآخَرُونَ فَسَجَدُوا فِي مَكَانِهِمْ،
ثُمَّ تَقَدَّمَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ،
وَجَاءَ هَؤُلَاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلَاءِ،
قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ فَرَكَعُوا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ فَرَفَعُوا جَمِيعًا،
ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺوَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيه، وَالْآخَرُونَ قِيَامٌ يَحْرُسُونَهُمْ،
فَلَمَّا جَلَسَ جَلَسَ الْآخَرُونَ، فَسَجَدُوا ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ انْصَرَفَ،
قَالَ: فَصَلَّاهَا رَسُولُ اللَّه ﷺمَرَّتَيْنِ:-
مَرَّةً بِعُسْفَانَ، وَمَرَّةً بِأَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ "
***صحيح البخاري
944 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
«قَامَ النَّبِيُّ ﷺوَ قَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَكَبَّرَ وَ كَبَّرُوا مَعَهُ
وَ رَكَعَ وَ رَكَعَ نَاسٌ مِنْهُمْ مَعَهُ،
ثُمَّ سَجَدَ وَ سَجَدُوا مَعَهُ،
ثُمَّ قَامَ لِلثَّانِيَةِ،
فَقَامَ الَّذِينَ سَجَدُوا وَحَرَسُوا إِخْوَانَهُمْ
وَ أَتَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى،
فَرَكَعُوا وَ سَجَدُوا مَعَهُ،
وَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي صَلاَةٍ،

وَ لَكِنْ يَحْرُسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»

(وأتت الطائفة الأخرى) الذين لم يركعوا ولم يسجدوا معه في الركعة الأولى]

***صحيح مسلم

(840) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: " غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ، فَقَاتَلُونَا قِتَالًا شَدِيدًا، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ

قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لَاقْتَطَعْنَاهُمْ،

فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ:-

وَ قَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ،

فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ قَالَ:-

صَفَّنَا صَفَّيْنِ، وَ الْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ،

قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَ كَبَّرْنَا، وَ رَكَعَ فَرَكَعْنَا،

ثُمَّ سَجَدَ، وَ سَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الْأَوَّلُ،

فَلَمَّا قَامُوا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي،

ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، وَ تَقَدَّمَ الصَّفُّ الثَّانِي،

فَقَامُوا مَقَامَ الْأَوَّلِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَ كَبَّرْنَا، وَ رَكَعَ، فَرَكَعْنَا، ثُمَّ سَجَدَ وَ سَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الْأَوَّلُ،

وَ قَامَ الثَّانِي، فَلَمَّا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي،

ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ".

قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: ثُمَّ خَصَّ جَابِرٌ أَنْ قَالَ: كَمَا يُصَلِّي أُمَرَاؤُكُمْ هَؤُلَاءِ( )

ش (لو ملنا عليهم ميلة) أي لو حملنا عليهم حملة

(لاقتطعناهم) أي لأصبناهم منفردين واستأصلناهم]

ثم فسَّر ذلك بقوله: (فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ)

أي: و طائفة قائمة بإزاء العدو كما يدل على ذلك ما يأتي:-

(فَإِذَا سَجَدُواْ)

أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم

و عبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود،

و أنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها.

***وَ أَمَّا الْأَمْرُ بِحَمْلِ السِّلَاحِ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ،
فَمَحْمُولٌ عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْوُجُوبِ لِظَاهِرِ الْآيَةِ،
وَ هُوَ أَحَدُ قَوْلَيِ الشَّافِعِيِّ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ:
{وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ}
أَيْ: بِحَيْثُ تَكُونُونَ عَلَى أُهْبَةٍ إِذَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهَا لَبِسْتُمُوهَا بِلَا كُلْفَةٍ:
{إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}

(فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ)

و هم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو

(فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ)

و دل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف الطائفة الأولى منتظرا للطائفة الثانية،

فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم و هذا أحد الوجوه في صلاة الخوف.

فإنها صحت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة كلها جائزة،

و هذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين:-

أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة،

وقت اشتداد الخوف من الأعداء و حذر مهاجمتهم،

فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة

فــــــــإيجابها في حالة الطمأنينة و الأمن من باب أَوْلَى و أحرى.

و الثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط و اللوازم،

و يعفى فيها عن كثير من الأفعال المبطلة في غيرها،

و ما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة،

لأنه لا تعارض بين واجب و مستحب،

فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها.

❍و تدل الآية الكريمة على أن الأولى و الأفضل أن يصلوا بإمام واحد.

و لو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلوها بعدة أئمة،

و ذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين و اتفاقهم و عدم تفرق كلمتهم،

و ليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم،

○و أمر تعالى بأخذ السلاح و الحذر في صلاة الخوف،

و هذا وإن كان فيه حركة و اشتغال عن بعض أحوال الصلاة

[فإن فيه مصلحة راجحة و هو الجمع بين الصلاة و الجهاد،]

و الحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين

و الميل عليهم و على أمتعتهم،

و لهذا قال تعالى:

(وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ) .

ثم إن الله عذر من له عذر من مرض أو مطر أن يضع سلاحه،

و لكن مع أخذ الحذر

فقال: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4599 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

{إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ، أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى} [النساء102]

قَالَ: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كَانَ جَرِيحًا» (‌)

و من العذاب المهين ما أمر الله به حزبه المؤمنين و أنصار دينه الموحدين

مـــــــــن:

1–قتلهـــــــــم

2–و قتـــــــالهم حيثما ثقفوهم،

3–و يـــــــأخذوهم و يحصروهم،

4–و يقعـــــــدوا لهم كل مرصد،

5–و يحـــــــذروهم في جميع الأحوال،

6–و لا يغفلـــــــوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم.

☼فلله أعظم حمد و ثناء على ما مَنَّ به على المؤمنين،

و أيَّدَهم بمعونته و تعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال:–

1–لم تُهـــــــزم لهم راية،

2–و لم يَظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات.

و في قوله: ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ﴾

يدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين.

(قال) ابن عباس رضي الله عنها. (كان جريحا) أي فنزلت الآية فيه تخفيفا عنه]

و أن الرسول ﷺ يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام،

لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم معه،

فأخبر عن مصاحبتهم له. ثم أضاف الفعل بعْدُ إليهم دون الرسول،

فدل ذلك على ما ذكرناه.

و في قوله: (وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ)

دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا،

و أن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام حقيقة في ركعتهم الأولى،

و حكما في ركعتهم الأخيرة،

فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم،

و هذا ظاهر للمتأمل.

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

(فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ)

فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف و غيرها،

فاذكروا الله في جميع أحوالكم و هيئاتكم،

و لكن خصت صلاة الخوف بذلك لفوائد. منهـــــــــا:-

1-أن القلب صلاحه و فلاحه وسعادته بالإنابة إلى الله تعالى في المحبة

و امتلاء القلب من ذكره والثناء عليه.

و أعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة،

[التي حقيقتها أنها صلة بين العبد و بين ربهٍ]

2-أن فيها من حقائق الإيمان و معارف الإيقان ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم و ليلة.

و من المعلوم أن صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب و البدن و الخوف فأمر بجبرها بالذكر بعدها.

3-أن الخوف يوجب من قلق القلب و خوفه ما هو مظنة لضعفه،

و إذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو،

و الذكر لله والإكثار منه من أعظم مقويات القلب.

4-أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح و الظفر بالأعداء،

كما قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير ذلك من الحِكَم.

وقوله: (فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ)

أي: إذا أمنتم من الخوف و اطمأنت قلوبكم و أبدانكم

فأتموا صلاتكم على الوجه الأكمل :-

[ظاهرا و باطنا، بأركانها و شروطها و خشوعها و سائر مكملاتها.]

(إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا)

أي: مفروضا في وقته، فدل ذلك على فرضيتها،

و أن لها وقتا لا تصح إلا به،

و هو هذه الأوقات التي قد تقررت عند المسلمين :-

[صغيرهم و كبيرهم، عالمهم و جاهلهم،]

و أخذوا ذلك عن نبيهم محمد ﷺبقوله:

« صلوا كما رأيتموني أصلي »

و دل قوله: (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)

على أن الصلاة ميزان الإيمان و على حسب إيمان العبد تكون صلاته و تتم و تكمل،

❍و يدل ذلك على أن الكفار و إن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة – أنهم لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة،

و لا يؤمرون بها،

بل و لا تصح منهم ما داموا على كفرهم،

و إن كانوا يعاقبون عليها و على سائر الأحكام في الآخرة.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

أي (وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ)

***كقوله﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ آل عمران: ١٤٠

لا تضعفوا و لا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي:-

في جهادهم والمرابطة على ذلك،

فإن وَهَن القلب مستدع لوَهَن البدن،

و ذلك يضعف عن مقاومة الأعداء.

بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم.

(إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ)

ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيئيــــــــن:

الأول: أن ما يصيبكم من الألم و التعب و الجراح و نحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم،

فليس من المروءة الإنسانية و الشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، و أنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك،

لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام و انتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة، و يدال عليه أخرى.

(وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ)

الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون،

فترجون الفوز بثوابه و النجاة من عقابه،

بل خواص المؤمنين لـــــــــهم :-

1-مقـــــــاصد عالية

2-و آمـــــــال رفيعة من نصر دين الله، و إقامة شرعه، و اتساع دائرة الإسلام،

3-و هـــــــداية الضالين،

4-و قمـــــــع أعداء الدين،

فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق:-

1-زيـــــــادة القوة،

2-و تضـــــــاعف النشاط

3-و الشجـــــــاعة التامة؛

لأن من يقاتل و يصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله،

ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية و الأخروية،

و الفوز برضوان الله و جنته،

فسبحان من فاوت بين العباد و فرق بينهم بعلمه و حكمته،

و لهذا قال: (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

كامل العلم كامل الحكمة.

إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ
وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾

(إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ)

*** صحيح البخاري

2680 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَ لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ،
فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ:-
فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا "( )

أي يخبر تعالى أنه أنزل على عبده و رسوله الكتاب بالحق، أي:-

محفوظًا في إنزاله من الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل،

بل نَزَلَ بالحق، و مشتملا أيضا على الحق،

(ألحن بحجته) أفطن وأفصح ببيان حجته وإظهار أن الحق له]

فأخباره صدق، و أوامره و نواهيه عدل

(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا)

(لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ)

و أخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس.

و في الآية الأخرى:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) .

فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع و الاختلاف،

- **و تلك في تبيين جميع الدين و أصوله و فروعه،**
- **و يحتمل أن الآيتين كلتيهما معناهما واحد،**

فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء و الأعراض و الأموال و سائر الحقوق و في العقائد و في جميع مسائل الأحكام.

وقوله: (بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ)

أي: لا بهواك بل بما علَّمك الله و ألهمك، كقوله تعالى:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)

و في هذا دليل على عصمته ﷺفيما يُبَلِّغ عن الله من جميع الأحكام و غيرها،

- **و أنه يشترط في الحاكم العلم و العدل**

لقوله: (بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) و لم يقل: بما رأيت.

و رتب أيضا الحكم بين الناس على معرفة الكتاب،

و لما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل و القسط نهاه عـــن :-

[الجور و الظلم]الذي هو ضد العدل

فقال: (وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا)

أي: لا تخاصم عن مَن عرفت خيانته، من مدع ما ليس له، أو منكرٍ حقا عليه، سواء علم ذلك أو ظنه.

❍ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل،

و النيابة عن المبطل في الخصومات الدينية و الحقوق الدنيوية.

❍و يدل مفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

(وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ) مما صدر منك إن صدر.

(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)

أي: 1-يغفر الذنب العظيم لمن استغفره، و تاب إليه و أناب

2–و يوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجِب لثوابه و زوال عقابه.

(وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ)

*الميسر:و لا تدافع عن الذين يخونون أنفسهم بمعصية الله.

○« الاختيان » و « الخيانة » بمعنى الجناية و الظلم و الإثم،

و هذا يشمل النهي عن المجادلة، عن من أذنب و توجه عليه عقوبة مـــن:–

[حـــــــــد أو تعـــــــــزير]

فإنه لا يجادل عنه بدفع ما صدر منه من الخيانة،

أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية.

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا)

أي: كثير الخيانة و الإثم،

و إذا انتفى الحب ثبت ضده و هو البُغْض،

و هذا كالتعليل، للنهي المتقدم.

ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم

(يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ)

*الميسر:يستترون

و هذا من ضعف الإيمان، و نقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم

أعظم من مخافة الله،

فيحرصون بالطرق المباحة و المحرمة على عدم الفضيحة عند الناس،

و هم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، و لم يبالوا بنظره و اطلاعه عليهم.

و هو معهم بالعلم في جميع أحوالهم،

خصوصًـــــــا في حال:-

(إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ)

1-تبييتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، و رمي البريء بالجناية،

2-و السعي في ذلك للرسول ﷺ ليفعل ما بيتوه.

فقد جمعوا بين عدة جنايات،

و لم يراقبوا رب الأرض و السماوات،المطلع على سرائرهم و ضمائرهم،

و لهذا توعدهم تعالى بقوله: (وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا)

أي: قد أحاط بذلك علما، و مع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم،

و عرض عليهم التوبة و حذرهم من الإصرار على ذنبهم الموجب للعقوبة البليغة.

(هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

أي: هبكم (((***ايها المؤمنون)))جادلتم عنهم في هذه الحياة الدنيا،

و دفع عنهم جدالُكم بعض ما تحذرون من العار و الفضيحة عند الخَلْق،

فماذا يغني عنهم و ينفعهم؟

(فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا)

***كقوله﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾ فاطر: ١٨

و من يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة،

و تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون؟

(يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) .

فمن يجادل عنهم من يعلم السر و أخفى

و من أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار؟

و في هذه الآية إرشـــــــاد إلى:-

المقابلة بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه،

و بين ما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها.

فيقول من أمرته نفسه بترك أمر الله ها أنت تركت أمره كسلا و تفريطا

فما النفع الذي انتفعت به؟

و ماذا فاتك من ثواب الآخرة؟

و ماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء و الحرمان و الخيبة و الخسران؟

و كذلك إذا دعته نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة

قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت

فإن لذته تنقضي و يعقبها من الهموم و الغموم و الحسرات،

و فوات الثواب وحصول العقاب – ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها.

و هذا من أعظم ما ينفع العبدَ تدبرُه، و هو خاصة العقل الحقيقي.

بخلاف الذي يدعي العقل، و ليس كذلك،

فإنه بجهله و ظلمه يؤثر اللذة الحاضرة و الراحة الراهنة،

و لو ترتب عليها ما ترتب. و الله المستعان.

ثم قال تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ)

أي: من تجرأ على المعاصي و اقتحم على الإثم

(ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا)

ثم استغفر الله استغفـــــــارا تاما يستلزم :-

1-الإقــــــرار بالذنب

2-و النـــــــدم عليه

3-و الإقـــــــلاع

4-و العـــــــزم على أن لا يعود.

فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة و الرحمة.

فيغفر له ما صدر منه من الذنب،

و يزيل عنه ما ترتب عليه من النقص و العيب

و يعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة،

و يوفقه فيما يستقبله من عمره،

و لا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه، لأنه قد غفره،

و إذا غفره غفر ما يترتب عليه.

و اعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي،الصغيرة و الكبيرة،

و سمي « سوءًا » لكونه يسوء عامله بعقوبته،

و لكونه في نفسه سيئًا غير حسن.

و كذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك فما دونه.

و لكن عند اقتران أحدهما بالآخر قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه،

فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس،

و هو ظلمهم في دمائهم و أموالهم و أعراضهم.

و يفسر ظلم النفس بالظلم والمعاصي التي بين الله و بين عبده،

و سمي ظلم النفس « ظلما » لأن نفس العبد ليست ملكا له يتصرف فيها بما يشاء،

و إنما هي ملك لله تعالى قد جعلها أمانة عند العبد

و أمره أن يقيمها على طريق العدل،

بإلزامها للصراط المستقيم علمًا و عملا

فيسعى في تعليمها ما أمر به

و يسعى في العمل بما يجب،

فسعيه في غير هذا الطريق ظلم لنفسه و خيانة و عدول بها عن العدل،

الذي ضده الجور و الظلم.

ثم قال: (وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ)

و هذا يشمل كل ما يؤثم من صغير و كبير،

فمن كسب سيئة فإن عقوبتها الدنيوية و الأخروية على نفسه

لا تتعداها إلى غيرها، كما قال تعالى:

(وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)

لكن إذا ظهرت السيئات فلم تنكر عمت عقوبتها و شمل إثمها،

فلا تخرج أيضا عن حكم هذه الآية الكريمة،

لأن من ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة.

و في هذا بيان عدل الله و حكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد،

و لا يعاقب أحدا أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه،

و لهذا قال: (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا)

أي: له العلم الكامل والحكمة التامة.

و من علمه و حكمته أنه يعلم الذنب و ما صدر منه،

و السبب الداعي لفعله، و العقوبة المترتبة على فعله،

و يعلم حالة المذنب، أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته،

أنه سيغفر له و يوفقه للتوبة.

و إن صدر منه بتجرئه على المحارم استخفافا بنظر ربه، و تهاونا بعقابه،

فإن هذا بعيد من المغفرة بعيد من التوفيق للتوبة.

ثم قال: (وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً)

أي: ذنبا كبيرا

(أَوْ إِثْمًا) ما دون ذلك.

(ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ) أي: يتهم بذنبه

(بَرِيٓـًٔا) من ذلك الذنب، و إن كان مذنبا.

(فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)

أي: فقد حمل فوق ظهره بهتا للبريء و إثمًا ظاهرًا بينًا،

و هذا يدل على أن ذلك من كبائر الذنوب و موبقاتها،

فإنه قد جمع عدة مفاسد:-

كسب الخطيئة و الإثم، ثم رَمْي مَن لم يفعلها بفعلها،

ثم الكذب الشنيع بتبرئة نفسه و اتهام البريء،

ثم ما يترتب على ذلك من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت عليه،

و تقام على من لا يستحقها.

ثم ما يترتب على ذلك أيضا من كلام الناس في البريء إلى غير ذلك من المفاسد التي نسأل الله العافية منها ومن كل شر.

ثم ذكر منته على رسوله بحفظه وعصمته ممن أراد أن يضله

فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾

و ذلك أن هذه الآيات الكريمات قد ذكر المفسرون أن سبب نزولها:-

أن أهل بيت سرقوا في المدينة،

فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة،

و أخذوا سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك.

و استعان السارق بقومه أن يأتوا رسول الله ﷺو يطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم على رءوس الناس،

و قالوا: إنه لم يسرق و إنما الذي سرق من وجدت السرقة ببيته و هو البريء.

فهَمَّ رسول الله ﷺأن يبرئ صاحبهم،

فأنزل الله هذه الآيات تذكيرا و تبيينا لتلك الواقعة و تحذيرا للرسول ﷺ من المخاصمة عن الخائنين،

فإن المخاصمة عن المبطل من الضلال،

فإن الضـــــلال نوعـــــان:-

1-ضـــــلال في العلم، و هو الجهل بالحق.

2-و ضـــــلال في العمل، و هو العمل بغير ما يجب.

فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال

كما حفظه عن الضلال في الأعمال .

و أخبر أن كيدهم و مكرهم يعود على أنفسهم، كحالة كل ماكر، فقال:

(وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ)

لكون ذلك المكر و ذلك التحيل لم يحصل لهم فيه مقصودهم،

و لم يحصل لهم إلا الخيبة و الحرمان و الإثم و الخسران.

و هذه نعمة كبيرة على رسوله ﷺ تتضمن النعمة بالعمل،

و هو التوفيق لفعل ما يجب، و العصمة له عن كل محرم.

ثم ذكر نعمته عليه بالعلم فقال: (وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ)

أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم و الذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء و علم الأولين و الآخِرين.

(وَٱلۡحِكۡمَةَ):

إما السُّنَّة التي قد قال فيها بعض السلف:-

إن السُّنَّة تنزل عليه كما ينزل القرآن.

❍و إما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها،

و تنزيل الأشياء منازلها و ترتيب كل شيء بحسبه.

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ)

***كقوله﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾
الشورى: ٥٢

و هذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى.

فإنه ﷺ كما وصفه الله قبل النبوة بقوله:

(مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى).

❍ثم لم يزل يوحي الله إليه و يعلمه و يكمله حتى ارتقى مقاما من العلم يتعذر وصوله على الأولين و الآخرين،

فكان أعلم الخلق على الإطلاق، و أجمعهم لصفات الكمال، و أكملهم فيها،

و لهذا قال: (وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا)

ففضله على الرسول محمد ﷺ أعظم من فضله على كل مخلوق .

و أجناس الفضل الذي قد فضله الله به لا يمكن استقصاؤها و لا يتيسر إحصاؤها .

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ
بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ
مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن
يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ
ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن
يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ
بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

(لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ)

*** سنن أبي داود

4919 عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَ الصَّلَاةِ وَ الصَّدَقَةِ؟»

قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، و فَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»

*** صحيح البخاري

2692 - عن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ، قَالَت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»( )

أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس و يتخاطبون،

و إذا لم يكن فيه خير،

فإما لا فائدة فيه كـــــــــــــ:-

فضول الكلام المباح،

و إما شر و مضرة محضة كـــــــــــــ:-

الكلام المحرم بجميع أنواعه.

ثم استثنى تعالى فقال: (إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ)

(فينمي خيرا) من نمى الحديث إذا رفعه وبلغه على وجه الإصلاح وطلب الخير]

من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة

كـــــــــــ:-التسبيح و التحميد و نحوه، كما قال النبي ﷺ:-

«إن بكل تسبيحة صدقة،

و كل تكبيرة صدقة،

و كل تهليلة صدقة،

و أمر بالمعروف صدقة،

و نهي عن المنكر صدقة،

و في بضع أحدكم صدقة » الحديث.

(أَوۡ مَعۡرُوفٍ)

و هو الإحسان و الطاعة و كل ما عرف في الشرع و العقل حسنه،

و إذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر

[دخل فيه النهي عن المنكر]

☼و ذلك لأن ترك المنهيات من المعروف،

و أيضا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر.

و أما عند الاقتران فـــــــــــ:-

يفسر المعروف بفعل المأمور،و المنكر بترك المنهي.

(أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ)

❍و الإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين،

❍و النزاع و الخصام و التغاضب يوجب من الشر و الفرقة ما لا يمكن حصره،

❍فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في:-

[الدماء و الأموال و الأعراض] بل و في [الأديان] كما قال تعالى:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا) وقال تعالى:

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) الآية.

وقال تعالى: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)

❍<u>و الساعي في الإصلاح بين الناس أفضل مـــــــن:-</u>

[القانت بالصلاة و الصيام و الصدقة]

و المصلح لا بد أن يصلح الله سعيه و عمله.

كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله و لا يتم له مقصوده كما قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) .

فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء.

و لكن كمال الأجر و تمامه بحسب النية و الإخلاص،

و لهذا قال:(وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا)

فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى

و يخلص العمل لله في كل وقت

و في كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم،

و ليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، و ليتم له الأجر،

سواء تم مقصوده أم لا لأن النية حصلت و اقترن بها ما يمكن من العمل.

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

(وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ)

أي: و من يخالف الرسول ﷺ و يعانده فيما جاء به

(مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ) بالدلائل القرآنية و البراهين النبوية.

(وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

❍و سبيلهم هو طريقهم في عقائدهم و أعمالهم

*** هَذَا مُلَازِمٌ لِلصِّفَةِ الْأُولَى،وَ لَكِنْ قَدْ تَكُونُ الْمُخَالَفَةُ لِنَصِّ الشَّارِعِ، وَ قَدْ تَكُونُ لِمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ،

فِيمَا عُلِمَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَيْهِ تَحْقِيقًا،
فَإِنَّهُ قَدْ ضُمِنت لَهُمُ الْعِصْمَةُ فِي اجْتِمَاعِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ،تشريفًا لهم و تعظيما لنبيهم ﷺ.
وَ الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي الِاحْتِجَاجِ عَلَى كَوْنِ الْإِجْمَاعِ حُجَّةً تَحْرُم مُخَالَفَتُهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، بَعْدَ التَّرَوِّي وَ الْفِكْرِ الطَّوِيلِ.
وَ هُوَ مِنْ أَحْسَنِ الِاسْتِنْبَاطَاتِ وَ أَقْوَاهَا،

(نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ)

أي: نتركه و ما اختاره لنفسه، و نخذله فلا نوفقه للخير،

لكونه رأى الحق و علمه و تركه،

فجزاؤه من الله عـــــــدلا أن:-

1-يبقيه في ضلاله حائرا

2-و يزداد ضلالا إلى ضلاله.

كما قال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) وقال تعالى:

(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

و يدل مفهومهـــــــا على أن:-

من لم يشاقق الرسول،و يتبع سبيل المؤمنين،

بأن كان قصده وجه الله و اتباع رسوله و لزوم جماعة المسلمين،

ثم صدر منه من الذنوب أو الهّم بها ما هو مــــــــن:-

1-مقتضيات النفوس،

2-و غلبات الطباع،

←فإن الله لا يوليه نفسه و شيطانه بـــــــــل :-

1-يتـــــــــداركه بلطفه،

2-و يمـــــــن عليه بحفظه

3-و يعصمـــــــــه من السوء،

كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام:

(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)

أي: بسبب إخلاصه صَرَفْنَا عنه السوء،

و كذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل.

وقوله: (وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ)

***كقوله﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
القلم: ٤٤

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ الصف: ٥

أي: نعذبه فيها عذابا عظيما.

(وَسَآءَتۡ مَصِيرًا) أي: مرجعا له و مآلا.

و هذا الوعيد المرتب على الشقاق و مخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغرا و كبرا،

فمنه ما يخلد في النار و يوجب جميع الخذلان.

و منه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق.

و هـــــو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه:-

1-القدح في رب العالمين في وحدانيته

2-و تسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا بمـــن :-

[هو مالك النفع و الضر،]

[الذي ما من نعمة إلا منه]،

[و لا يدفع النقم إلا هو،]

[الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه،]

[و الغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات]

فمن أعظم الظلم و أبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه و عظمته و صرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء،

و لا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم.

[عدم الوجود و عدم الكمال و عدم الغنى، و الفقر من جميع الوجوه.]

و أما ما دون الشرك من الذنوب و المعاصي فهو تحت المشيئة:-

1-إن شاء الله غفره برحمته و حكمته،

2-و إن شاء عذب عليه و عاقب بعدله و حكمته،

❍و قد اسْتُدِلَ بهذه الآية الكريمة على أن:-

[إجماع هذه الأمة حجة و أنها معصومة من الخطأ.]

و وجه ذلك:- أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان و النار،

و(سبيل المؤمنين)

مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد و الأعمال.

فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته - فهذا سبيلهم،

فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه،

فقد اتبع غير سبيلهم. و يدل على ذلك قوله تعالى:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)

و وجه الـــــــدلالة منها: -

أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرون إلا بالمعروف،

فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به،

فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا و لا شيء بعد المعروف غير المنكر،

❍و كذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا، و مثل ذلك قوله تعالى:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)

فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطا أي:-

عدلا خيارا ليكونوا شهداء على الناس أي:- في كل شيء،

❍فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه،

فإن شهادتهم معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم،

❍فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم و لا عالمين بها.

و مثل ذلك قوله تعالى:

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)

يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب و السنة،

و ذلك لا يكون إلا موافقا للكتاب و السنة فلا يكون مخالفا.

فهذه الأدلة و نحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة،

و لهذا بيَّن الله قبح ضلال المشركين بقوله:

إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

(إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا)

***قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا} قَالَ: مَعَ كُلِّ صَنَمٍ جنيَّة.

أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثا، أي:- أوثانا و أصناما مسميات بأسماء الإناث كـ « العزى » و « مناة » و نحوهما،

و من المعلوم أن الاسم دال على المسمى.

فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلـــــــك على:-

1-نقص المسميات بتلك الأسماء،

2-و فقدها لصفات الكمال،

كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه،

أنها لا تخلق و لا ترزق و لا تدفع عن عابديها

بل و لا عن نفسها؛ نفعا و لا ضرا

و لا تنصر أنفسها ممن يريدها بسوء،

و ليس لها أسماع و لا أبصار و لا أفئدة،

فكيف يُعبد من هذا وصفه و يترك الإخلاص لمن لـــــــه :-

الأسمــــــــاء الحسنى

و الصفــــــــات العليا

و الحمــــــــد و الكمال،

و المجــــــــد و الجلال،

و العــــــز و الجمال،

و الرحمــــــــة و البر و الإحسان،

و الانفــــــــراد بالخلق و التدبير،

و الحكمــــــــة العظيمة في الأمر و التقدير؟

« هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص صاحبه،

و بلوغه من الخسة و الدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟ »

و مع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة.

(وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا)

و بالحقيقة ما عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم و يسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله،

***كقوله

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾
يس: ٦٠

(مَّرِيدًا)

*الميسر: متمرداً على الله

(لَّعَنَهُ ٱللَّهُ) و أبعده عن رحمته،

فكما أبعده الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله.

(إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

و لهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد،

و تزيين الشر لهم و الفساد

و أنه قال لربه مقسما: (وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا)

أي: مقـــــــــدرا.

علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله،

و أن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان،

و إنما سلطانه على من تولاه، و آثر طاعته على طاعة مولاه.

و أقسم في موضع آخر ليغوينهم

(لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)

فهذا الذي ظنه الخبيث و جزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله:

(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

و هذا النصيب المفروض الذي أقسم لله إنه يتخذهم ذكر ما يريد بهم و ما يقصده لهم بقوله:

(وَلَأُضِلَّنَّهُمْ) أي: عن الصراط المستقيم

ضلالا في: العـــــــلم،

و ضلالا في: العمـــــــــل.

(وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ)

*** أُزَيِّنُ لَهُمْ تَرْكَ التَّوْبَةِ، وَ أَعِدُهُمُ الْأَمَانِيَ، وَ آمُرُهُمْ بِالتَّسْوِيفِ وَ التَّأْخِيرِ، وَ أَغُرُّهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

❍أي: مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا ما ناله المهتدون.

و هذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال.

و هذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة

و حسبوا أنها موجبة للجنة،

و اعتبر ذلك باليهود والنصارى و نحوهم

فإنهم كما حكى الله عنهم،

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)

(كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ)

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)

و قال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين:

(أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)

وقوله: (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ)

أي: بتقطيع آذانها، و ذلك كالبحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام

فنبه ببعض ذلك على جميعه،

و هذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله

و يلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة و الأحكام الجائرة ما هو من أكبر الإضلال.

(وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ)

صحيح البخاري ***

4886 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

«لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَ المُوتَشِمَاتِ، وَ المُتَنَمِّصَاتِ وَ المُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»

فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ،

فَقَالَ: وَ مَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ مَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ،

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ،

قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ:

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7]؟

قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ،

قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ،

قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا،

فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا( )

و هذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بـــــــــ:-

[الوشم، و الوشر و النمص و التفلج للحسن]

(الواشمات) جمع واشمة اسم فاعلة من الوشم وهو غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل منه الدم ثم يحشى الموضع بكحل أو نحوه فيتلون الجلد ولا يزول بعد ذلك أبدا. (الموتشمات) جمع موتشمة وهي التي يفعل فيها الوشم. (المتنمصات) جمع متنمصة وهي التي تطلب إزالة شعر وجهها ونتفه والتي تزيله وتنتفه تسمى نامصة. (المتفلجات) جمع متفلجة وهي التي تبرد أسنانها لتفترق عن بعضها. (للحسن) لأجل الجمال. (المغيرات خلق الله) بما سبق ذكره لأنه تغيير وتزوير. (كيت وكيت) كناية عن كلام قيل. (ما بين اللوحين) أي القرآن المكتوب ما بين دفتي المصحف. (آتاكم) أمركم به. (فلم تر من حاجتها) لم تشاهد أم يعقوب من الذي ظنته في زوج ابن مسعود رضي الله عنهما شيئا. (ما جامعتنا) ما صاحبتنا بل كنا نطلقها ونفارقها وفي نسخة (ما جامعتها) والمعنى واحد]

و نحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحمن.

❍و ذلك يتضمـــــــــن :-

1-التسخط من خلقته

2-و القدح في حكمته،

3-و اعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن،

4-و عدم الرضا بتقديره و تدبيره،

❍و يتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة:-

فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق و إيثاره،

فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل،

و زينت لهم الشر و الشرك و الكفر و الفسوق و العصيان.

❍فإن كل مولود يولد على الفطرة و لكن أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه،

و نحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد من توحيده و حبه و معرفته.

فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع و الذئاب للغنم المنفردة.

لولا لطف الله و كرمه بعباده المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين،

و هذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم و فاطرهم و توليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه،

فخسروا الدنيا و الآخرة، و رجعوا بالخيبة و الصفقة الخاسرة،

*****كقوله** ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الروم: ٣٠

عَلَى قَوْلِ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ أَمْرًا، أَيْ:-

لَا تُبَدِّلُوا فِطْرَةَ اللَّهِ، وَ دَعُوا النَّاسَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ،

كما في الحديث:

صحيح البخاري

1359 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ} [الروم: 30]( )

(لا تبديل لخلق الله) لا تفاوت بين الناس في أصل خلقتهم ولا يستطيع أحد أن يغير طبيعة نفوسهم حقيقة.
(القيم) المستقيم والمقوم لأمور الناس]

و لهذا قال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾

و أي خسار أبين و أعظم ممن خسر دينه و دنياه

و أوبقته معاصيه و خطاياه؟!!

فحصل له الشقاء الأبدي، و فاته النعيم السرمدي.

كما أن من تولى مولاه و آثر رضاه، ربح كل الربح، و أفلح كل الفلاح،

و فاز بسعادة الدارين، و أصبح قرير العين،

فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللهم تولنا فيمن توليت،

و عافنا فيمن عافيت.

ثم قال: ﴿يَعِدُهُمْ ﴾

1-أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم،

و يخوفهم عند إيثار مرضاة الله بكل ما يمكن و ما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير،

2-و الوعد يشمل حتى الوعيد

كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾

فإنه يعدهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا،

و يخوفهم إذا جاهدوا بالقتل و غيره كما قال تعالى:

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) الآية.

(وَيُمَنِّيهِمْ)

*الميسر: و يغريهم

و كذلك يمنيهم الأماني الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له،

و لهذا قال: (وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا)

*الميسر :وما يَعِدهم إلا خديعة لا صحة لها، و لا دليل عليها.

(أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ)

أي: من انقاد للشيطان و أعرض عن ربه، و صار من أتباع إبليس و حزبه، مستقرهم النار.

(وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا)

أي: مخلصا و لا ملجأ بل هم خالدون فيها أبد الآباد.

***كقوله﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى

كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إبراهيم: ٢٢

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

و لما بين مآل الأشقياء أولياء الشيطان ذكر مآل السعداء أوليائه فقال:

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾

أي: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر، و القَدَر خيره و شره على الوجه الذي أمروا به علما و تصديقا و إقرارا.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ **الناشئة عن الإيمان؟**

و هذا يشمل سائر المأمورات من واجب و مستحب،

1–الذي على القلب،

2–و الذي على اللسان،

3–و الذي على بقية الجوارح.

<u>كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب:–</u>

1–حـــــــــاله

2–و مقـــــــــامه،

3–و تكميـــــــــــله للإيمان و العمل الصالح.

<u>و يفوته ما رتب على ذلك بحسب :–</u>

1–ما أخل به من الإيمان و العمل،

و ذلك بحسب ما علم من حكمة الله و رحمته،

و كذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله و سنة رسوله.

و لهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله:

(سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ)

فيها ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر،

من أنــــــــواع:–

1–المــــــآكل و المشارب اللذيذة،

2–و المنـــــــاظر العجيبة،

3–و الأزواج الحسنـــــــــة،

4–و القصــــــــور،

5–و الغــــــرف المزخرفة،

6–و الأشجـــــــار المتدلية،

7–و الفــــــواكه المستغربة،

8–و الأصـــــــوات الشجية،

9–و النعـــــــم السابغة،

10–و تـــــــزاور الإخوان، و تذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان،

11–و أعلى من ذلك كله و أجلّ رضوان الله عليهم و تمتع الأرواح بقربه،

و العيون برؤيته، و الأسماع بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم و سرور،

و لولا الثبات من الله لهم لطاروا و ماتوا من الفرح و الحبور،

فلله ما أحلى ذلك النعيم و ما أعلى ما أنالهم الرب الكريم،

و ماذا حصل لهم من كل خير و بهجة لا يصفه الواصفون،

و تمام ذلك و كماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات،

و لهذا قال: (خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا)

***سنن النسائي

1578 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: - يَحْمَدُ اللَّهَ وَ يُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ:

«مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَ مَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،

إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ،

–فصدق الله العظيم الذي بلغ قولُه وحديثُه في الصدق أعلى ما يكون،

و لهذا لما كان كلامه صدقا و خبره حقا ←

كان ما يدل عليه مطابقةً و تضمنًا و ملازمةً كل ذلك مراد من كلامه،

و كذلك كلام رسوله ﷺ لكونه لا يخبر إلا بأمره و لا ينطق إلا عن وحيه.

لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾

***صحيح مسلم

(2574) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}

[النساء: 123] بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«قَارِبُوا، وَ سَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»

****وَ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الدِّينَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَ لَا بِالتَّمَنِّي، وَ لَيْسَ كُلّ مَنِ ادَّعَى شَيْئًا حَصَلَ لَهُ بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُ، وَ لَا كُلُّ مَنْ قَالَ:- "إِنَّهُ هُوَ المُحق" سُمِعَ قَوْلُهُ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ؛ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ}

أَيْ: لَيْسَ لَكُمْ وَ لَا لَهُمُ النَّجَاةُ بِمُجَرَّدِ التَّمَنِّي، بَلِ الْعِبْرَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَ اتِّبَاعِ مَا شَرَعَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ الْكِرَامِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}

***صحيح البخاري

5641 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَ لَاوَصَبٍ، وَ لاَ هَمٍّ وَ لاَ حُزْنٍ وَ لاَ أَذًى وَ لاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»( )

***كقوله﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾

(نصب) تعب

(وصب) مرض

(هم) كره لما يتوقعه من سوء

(حزن) أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي

(أذى) من تعدي غيره عليه

(غم) ما يضيق القلب والنفس

(خطاياه) ذنوبه]

وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُۥ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨

أي: (لَّيْسَ) الأمر و النجاة و التزكية

(بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ)

و الأمـــــــــاني:

أحاديث النفس المجردة عن العمل، المقترن بها دعوى مجردة

لو عورضت بمثلها لكانت من جنسها.

و هذا عامّ في كل أمر، فكيف بأمر الإيمان و السعادة الأبدية؟!

فإن أماني أهل الكتاب قد أخبر الله بها أنهم قالوا: –

(لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)

و غيرهم ممن ليس ينتسب لكتاب و لا رسول من باب أولى و أحرى.

و كذلك أدخل الله في ذلك من ينتسب إلى الإسلام لكمال العدل

و الإنصاف،

فإن مجرد الانتساب إلى أي دين كان، لا يفيد شيئا إن لم يأت الإنسان

ببرهان على صحة دعواه،

فالأعمال تصدق الدعوى أو تكذبها

و لهذا قال تعالى: (مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ)

و هذا شامل لجميع العاملين، لأن السوء شامل لأي ذنب كان:-

1-من صغـــــــائر الذنوب و كبائرها،

2-و شامل أيضا لكل جزاء قليل أو كثير، دنيوي أو أخروي.

❍و الناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله،

فمستقل و مستكثر،

❍فمن كان عمله كله سوءا و ذلك لا يكون إلا كافرا.

فإذا مات من دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم.

❍و من كان عمله صالحا، و هو مستقيم في غالب أحواله،

و إنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب الصغار

فما يصيبه مـــن:-

1-الهـــــــــم

2-و الغـــــــم

3-و الأذى

4-و بعض الآلام في بـــــــدنه أو قـــــــلبه أو حبيبــــــــه أو مـــــاله و نحو ذلك -

فإنها مكفرات للذنوب، و هي مما يجزى به على عمله،

قيضها الله لطفا بعباده، و بين هذين الحالين مراتب كثيرة.

و هذا الجزاء على عمل السوء العام مخصوص في غير التائبين،

فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما دلت على ذلك النصوص.

و قوله: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

لإزالة بعض ما لعله يُتِوهم أن من استحق المجازاة على عمله قد يكون له ولي

أو ناصر أو شافع يدفع عنه ما استحقه،

فأخبر تعالى بانتفاء ذلك، فليس له ولي يحصل له المطلوب،

و لا نصير يدفع عنه المرهوب، إلا ربه ومليكه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾

دخـــــــــل في ذلك:-

1-ســـــــائر الأعمال القلبية و البدنية،

2-و دخل أيضا كل عامل من إنس أو جن، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى.

و لهذا قال: ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

و هذا شرط لجميع الأعمال، لا تكون صالحة و لا تقبل و لا يترتب عليها

الثواب و لا يندفع بها العقاب إلا بالإيمان.

فالأعمال بدون الإيمان كأغصان شجرة قُطِعَ أصلها

و كبناء بني على موج الماء،

فالإيمان هو الأصل و الأساس و القاعدة التي يبنى عليه كل شيء،

و هذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به.

(فَأُوْلَٰٓئِكَ) أي: الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح

(يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ) المشتملة على ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين

(وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا)

أي: لا قليلا و لا كثيرا مما عملوه من الخير،

بل يجدونه كاملا موفرا، مضاعفا أضعافا كثيرة.

***وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الْفَتِيلِ:-وَ هُوَ الْخَيْطُ الَّذِي فِي شِقِّ النَّوَاةِ،
وَ هَذَا النَّقِيرُ وَ هُمَا فِي نَوَاةِ التَّمْرَةِ،
وَ كَذَا الْقِطْمِيرُ وَ هُوَ:- اللِّفَافَةُ الَّتِي عَلَى نَوَاةِ التَّمْرَةِ،
الثَّلَاثَةُ فِي القرآن.

وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ
وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾

(وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ)

أي: لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود،

و هو إسلام الوجه لله الدال على:-

1-استسلام القلب و توجهه و إنابته و إخلاصه،

2–و توجه الوجه و سائر الأعضاء لله.

(وَهُوَ) مع هذا الإخلاص و الاستسلام

(مُحْسِنٌ)

أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، و أنزل كتبه،

و جعلها طريقا لخواص خلقه و أتباعهم.

(وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ)

أي: دينه و شرعه

(حَنِيفًاۗ) أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد،

و عن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق،

(وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا)

و الخُلة أعلى أنواع المحبة،

و هذه المرتبة حصلت للخليلين محمد و إبراهيم عليهما الصلاة و السلام،

❍و أما المحبة من الله فهي لعموم المؤمنين،

و إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه وفَّى بما أُمر به و قام بما ابْتُلي به،

فجعله الله إماما للناس، و اتخذه خليلا و نوه بذكره في العالمين.

***صحيح البخاري

3904 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَ مَالِهِ أَبَا بَكْرٍ

وَ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلَامِ،

لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»

***صحيح مسلم

(532)عن جُنْدَبٌ، قَالَ:-

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺقَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَ هُوَ يَقُولُ:

«إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ،

فَإِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا،

وَ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا،

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

و هذه الآية الكريمة فيها بيان إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء،

فأخبر أنه له (وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ)

أي: الجميع ملكه و عبيده، فهم المملوكون و هو المالك المتفرد بتدبيرهم،

(وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٖ مُّحِيطًا)

و قد أحاط علمه بجميع المعلومات،

و بصره بجميع المبصرات،

و سمعه بجميع المسموعات،

و نفذت مشيئته و قدرته بجميع الموجودات،

و وسعت رحمته أهل الأرض و السماوات،

و قهر بعزه و قهره كل مخلوق،

و دانت له جميع الأشياء.

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4574 - عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لاَ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى}

فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، هَذِهِ اليَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا،

تَشْرَكُهُ فِي مَالِه، وَيُعْجِبُهُ مَالُهَا و جَمَالُهَا،

فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا،

فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ،

فَنُهُوا عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ،

وَ يَبْلُغُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ فِي الصَّدَاقِ،
فَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ،
قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَ إِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺبَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ} [النساء:127] "،
قَالَتْ عَائِشَةُ: وَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى:
{وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} [النساء:127]:-
رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ عَنْ يَتِيمَتِهِ، حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ المَالِ وَالجَمَالِ،
قَالَتْ: فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا عَنْ مَنْ رَغِبُوا فِي مَالِهِ وَجَمَالِهِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ إِذَا كُنَّ قَلِيلاَتِ المَالِ وَالجَمَالِ "

الاستفتاء:

طلب السائل من المسئول بيان الحكم الشرعي في ذلك المسئول عنه.

فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول ﷺفي حكم النساء المتعلق بهم،

فتولى الله هذه الفتوى بنفسه فقال: (قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ)

*الميسر :قل الله تعالى يبيِّن لكم أمورهن

–فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع شئون النساء، مـــــــن:–

[القيام بحقوقهن و ترك ظلمهن عموما و خصوصا]

و هذا أمر عام يشمل جميع ما شرع الله أمرا و نهيا في حق النساء الزوجات

و غيرهن، الصغار و الكبار،

ثم خص – بعد التعميم– الوصية بالضعاف من اليتامى و الولدان اهتماما بهم و زجرا عن التفريط في حقوقهم

فقال: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾

أي: و يفتيكم أيضا بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء.

﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾

و هذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت،

فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها و ظلمها، إمـــا:–

1–بـــــــــأكل مالها الذي لها أو بعضه،

2–أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، خوفا من استخراجه من يده إنْ زوَّجها،

3–أو يأخذ من مهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره،هذا إذا كان راغبا عنها،

4–أو يرغب فيها و هي ذات جمال و مال و لا يقسط في مهرها،

بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص

و لهذا قال: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾

أي: ترغبون عن نكاحهن أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيله.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾

أي: و يفتيكم في المستضعفين من الولدان الصغار،أن :-

1-تعطوهم حقهم من الميراث و غيره

2-و أن لا تستولوا على أموالهم على وجه الظلم و الاستبداد.

(وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ)

أي: بالعدل التام، و هذا يشمل القيام عليهم بإلزامهم أمر الله و ما أوجبه على عباده،

فيكون الأولياء مكلفين بذلك، يلزمونهم بما أوجبه الله.

و يشمل القيام عليهم في مصالحهم الدنيوية بتنمية أموالهم و طلب الأحظ لهم فيها،

و أن لا يقربوها إلا بالتي هي أحسن،

و كذلك لا يحابون فيهم صديقا و لا غيره، في تزوج و غيره،

على وجه الهضم لحقوقهم.

و هذا من رحمته تعالى بعباده، حيث حثّ غاية الحث على القيام بمصالح من لا يقوم بمصلحة نفسه لضعفه و فقد أبيه.

ثم حثّ على الإحسان عموما فقال: (وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ)

لليتامى و لغيرهم سواء كان الخير متعديا أو لازما

(فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا)

أي: قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير، قلة و كثرة، حسنا و ضده، فيجازي كُلا بحسب عمله.

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا

صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ

حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ

وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن

سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ

وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ

وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾

إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾

مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ

وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا

صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾

أي (وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

460 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} [النساء128]

قَالَتْ: " الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ المَرْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا،

يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَتَقُولُ:-

أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ "

*سنن أبي داود

213 - عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:-

قَالَتْ عَائِشَةُ: «يَا ابْنَ أُخْتِي

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ، مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا،

وَ كَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَ هُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا،

فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا»

وَ لَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ:-

حينَ أَسَنّتْ وَفرقتْ أَنْ يُفارِقَهَا رَسُولُ اللّه ﷺيَا رَسُولَ اللّهِ، يَوْمِي لعَائشَةَ، فَقَبِلَ ذَلك رسُولُ اللّه ﷺمنْها، قَالَتْ:-
نَقُولُ فِي ذَلك أَنْزَلَ اللّهُ تعَالَى وَفِي أَشْبَاهِهَا أُرَاهُ قَالَ:
{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا} [النساء128]
*المستدرك على الصحيحين للحاكم
3205 - عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، أَنّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ قَدْ خَلَا مِنْ سِنّهَا، فَتَزَوّجَ عَلَيْهَا شَابّةً، فَآثَرَ الْبِكْرَ عَلَيْهَا،
فَأَبَت امْرَأَتُهُ الْأُولَى أَنْ تقرّ عَلَى ذَلكَ،
فَطَلّقَهَا تَطْلِيقَةً حَتّى إِذَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِهَا يَسِيرٌ،
قَالَ: إِنْ شِئْتِ رَاجعْتُكِ، وَ صَبَرْتِ عَلَى الْأَثَرَةِ،
وَ إِنْ شِئْتِ تَرَكْتُكِ حَتّى يَخْلُوَ أَجَلُكِ.
قَالَتْ: بَلْ رَاجِعْنِي أَصْبِرْ عَلَى الْأَثَرَةِ،
فَرَاجَعَهَا ثُمّ آثَرَ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَصْبِرْ عَلَى الْأَثَرَةِ، فَطَلّقَهَا الْأُخْرَى، وَآثَرَ عَلَيْهَا الشّابّةَ،
قَالَ: فَذَلكَ الصّلْحُ الّذي بَلَغَنَا أَنّ اللّهَ قَدْ أَنْزَلَ فيه
{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا} [النساء128]
*ولا تنافي بين هذه الأقوال فإن حديث عائشة الأول مبهم
وحديثها الثاني مفسر للإبهام،
وأما حديث رافع فإنما قال إنها شاملة لما فعل والآية تشمل الجميع
***وَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ صُلْحَهُمَا عَلَى تَرْكِ بَعْضِ حَقِّهَا لِلزَّوْجِ،

وَ قَبُولِ الزَّوْجِ ذَلِكَ، خَيْرٌ مِنَ الْمُفَارَقَةِ بِالْكُلِّيَّةِ،
كَمَا أَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعة عَلَى أَنْ تَرَكَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَ لَمْ يُفَارِقْهَا بَلْ تَرَكَهَا مِنْ جُمْلَةِ نِسَائِهِ،
وَ فِعْلُهُ ذَلِكَ لِتَتَأَسَّى بِهِ أُمَّتُهُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ ذَلِكَ وَ جَوَازِهِ،
فَهُوَ أَفْضَلُ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
وَ لَمَّا كَانَ الْوِفَاقُ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْفِرَاقِ
قَالَ: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}

❍إذا خافت المرأة نشوز زوجها أي:-

ترفعه عنها و عدم رغبته فيها و إعراضه عنها،

فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحا بينهما صلحا بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها على وجه تبقى مع زوجها،

1-إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة أو الكسوة أو المسكن،

2-أو القسم بأن تسقط حقها منه،

3-أو تهب يومها و ليلتها لزوجها أو لضرتها.

فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح و لا بأس عليهما فيها،

لا عليها و لا على الزوج،

فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، و هي خير من الفرقة،

و لهذا قال: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ .

و يؤخذ من عموم هذا اللفظ

و المعنى أن الصلح بين مَن بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه،

[لما فيها من الإصلاح و بقاء الألفة و الاتصاف بصفة السماح.]

❍و هو جائز في جميع الأشياء إلا إذا أحلّ حراما أو حرّم حلالا فإنه لا يكون صلحا و إنما يكون جورا.

❍و اعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم و لا يكمل إلا بوجود مقتضيه و انتفاء موانعه،

فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح،

فذكر تعالى المقتضي لذلك و نبه على أنه خير،

و الخير كل عاقل يطلبه و يرغب فيه،

فإن كان – مع ذلك– قد أمر الله به و حثّ عليه ازداد المؤمن طلبا له و رغبة فيه.

و ذكر المانع بقوله: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾

أي: جبلت النفوس على الشح، و هو:

1–عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان،

2–و الحرص على الحق الذي له،

فالنفوس مجبولة على ذلك طبعا، أي:–

فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخُلُق الدنيء من نفوسكم،

و تستبدلوا به ضده

و هو السماحة:–

و هو بذل الحق الذي عليك؛ و الاقتناع ببعض الحق الذي لك.

❍فمتى وُفِقَ الإنسان لهذا الخُلُق الحسن:–

1–سَهُلَ حينئذ عليه الصلح بينه و بين خصمه و معامله،

2–و تسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب.

بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه،

فإنه يعسر عليه الصلح و الموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله،

و لا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتد الأمر.

*** الصُّلْحُ عِنْدَ المُشَاحَّة خَيْرٌ مِنَ الْفِرَاقِ؛

وَ لِهَذَا لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَة عَزْمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَى فِرَاقِهَا،
فَصَالَحَتْهُ عَلَى أَنْ يُمْسِكَهَا،
وَ تَتْرُكَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ، فَقَبِل ذَلِكَ مِنْهَا وَ أَبْقَاهَا عَلَى ذَلِكَ.
صحيح البخاري
5212-عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ

«وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ بِيَوْمِهَا وَ يَوْم سَوْدَةَ»

ثم قال: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾

أي: تحسنوا في عبادة الخالق بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه

فإن لم يكن يراه فإنه يراه،

و تحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان،

من نفع بمال، أو علم، أو جاه، أو غير ذلك.

﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله بفعل جميع المأمورات،

و ترك جميع المحظورات.

أو تحسنوا بفعل المأمور،

و تتقوا بترك المحظور

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

قد أحاط به علما و خبرا، بظاهره و باطنه، فيحفظه لكم،

و يجازيكم عليه أتم الجزاء.

*** أَيْ وَ إِنْ تَتَجَشَّمُوا مَشَقَّةَ الصَّبْرِ عَلَى مَنْ تَكْرَهُونَ مِنْهُنَّ،

وَ تُقْسِمُوا لَهُنَّ أُسْوَةَ أَمْثَالِهِنَّ،

فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِذَلِكَ وَ سَيَجْزِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ.

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾

(وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ)

***لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تُسَاوُوا بَيْنَ النِّسَاءِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ،

فَإِنَّهُ وَ إِنْ حَصَلَ القسْم الصُّورِيُّ: لَيْلَةً وَ لَيْلَةً،

فَلَا بُدَّ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْمَحَبَّةِ وَ الشَّهْوَةِ وَ الْجِمَاعِ،

يخبر تعالى: أن الأزواج لا يستطيعون و ليس في قدرتهم العدل التام بين النساء،

و ذلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء،و الداعي على السواء،

و الميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك.

و هذا متعذر غير ممكن،

فلذلك عفا الله عما لا يستطاع،

و نهى عما هو ممكن بقوله:

(فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ)

أي: لا تميلوا ميلا كثيرا بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة،

بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل.

فالنفقة و الكسوة و القسم و نحوها عليكم أن تعدلوا بينهن فيها،

بخلاف الحب و الوطء و نحو ذلك،

(فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ)

فإن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمعـــــلقة التي:-

1- لا زوج لها فتستريح و تستعد للتزوج،

2-و لا ذات زوج يقوم بحقوقها.

(وَإِن تُصۡلِحُواْ)

1-ما بينكم و بين زوجاتكم، بـــــــــ:-

إجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتسابا و قياما بحق الزوجة،

2-و تصلحوا أيضا فيما بينكم و بين الناس،

3-و تصلحوا أيضا بين الناس فيما تنازعوا فيه،

و هذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقا كما تقدم.

(وَتَتَّقُواْ)

الله بفعل المأمور و ترك المحظور، و الصبر على المقدور.

(فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا)

يغفر ما صدر منكم من الذنوب و التقصير في الحق الواجب،

و يرحمكم كما عطفتم على أزواجكم و رحمتموهن.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ١٣٠﴾

هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا تعذر الاتفاق فإنه لا بأس بالفراق،

فقال: (وَإِن يَتَفَرَّقَا)

أي: بطلاق أو فسخ أو خلع أو غير ذلك

(يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا) من الزوجين

(مِّن سَعَتِهِۦۚ)

أي: من فضله و إحسانه الواسع الشامل.

فيغني الزوج بزوجة خير له منها، و يغنيها من فضله

و إن انقطع نصيبها من زوجها،

فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم،

و لعل الله يرزقها زوجا خيرا منه،

(وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا)

أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته و إحسانه إلى حيث وصل إليه علمه.

و لكنه مع ذلك

(حَكِيمًا) أي: يعطي بحكمة، و يمنع لحكمة.

فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان، حَرَمه عدلا و حكمة.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

يخبر تعالى عن عموم ملكه العظيم الواسع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير،

(ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ)

و تصرفه بأنواع التصريف قدرا و شرعا،

فتصرفه الشرعي أن وصى الأولين و الآخرين أهل الكتب السابقة و اللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر و النهي،

و تشريع الأحكام، و المجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب،

و المعاقبة لمن أهملها و ضيعها بأليم العذاب،

و لهذا قال: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾

بأن تتركوا تقوى الله، و تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا،

فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، و لا تضرون الله شيئا و لا تنقصون ملكه،

و له عبيد خير منكم و أعظم و أكثر، مطيعون له خاضعون لأمره.

و لهذا رتب على ذلك قوله:

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾

له الجود الكامل و الإحسان الشامل الصادر من خزائن رحمته التي لا ينقصها الإنفاق و لا يغيضها نفقة،

سحاء الليل و النهار، لو اجتمع أهل السماوات و أهل الأرض أولهم و آخرهم

فسأل كل واحد منهم ما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه شيئا،

ذلك بأنه جواد واجد ماجد، عطاؤه كلام و عذابه كلام،

إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون.

و من تمام غناه أنه كامل الأوصاف، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه،

لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك الكمال،

بل له كل صفة كمال،

و من تلك الصفة كمالها،

و من تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة و لا ولدا، و لا شريكا في ملكه

و لا ظهيرا، ولا معاونا له على شيء من تدابير ملكه.

❍و من كمال غناه افتقار العالم العلوي و السفلي في جميع أحواله و شئونهم

إليه و سؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة و الجليلة،

فقام تعالى بتلك المطالب و الأسئلة و أغناهم و أقناهم،

و مَنَّ عليهم بلطفه وهداهم.

(حَمِيدًا)

و أما الحميد فهو من أسماء الله تعالى الجليلة الدال على أنه هو المستحق

لكل حمد و محبة و ثناء و إكرام،

و ذلك لما اتُصْفَ به مــــــــن:-

1-صفات الحمد، التي هي صفة الجمال و الجلال،

2-و لما أنعم به على خلقه من النِّعم الجزال،

فهو المحمود على كل حال.

و ما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ !!

فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، و كمال من حمده،

و كمال من اقتران أحدهما بالآخر.

***كقوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ التغابن: ٦

(وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ)

ثم كرر إحاطة ملكه لما في السماوات و ما في الأرض،

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا)

و أنه على كل شيء وكيـــــــل، أي:-

عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة،

فإن ذلك من تمام الوكالة،

فإن الوكـــــــالة تستلــــــــزم :-

1-العـــــــلم بما هو وكيل عليه،

2-و القـــــــوة و القدرة على تنفيذه وتدبيره،

3-و كـــــــون ذلك التدبير على وجه الحكمة و المصلحة،

فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، و الله تعالى منزه عن كل نقص.

إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾

مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ

وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

أي: هو الغني الحميد الذي له القدرة الكاملة و المشيئة النافذة فيكم

(إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ)

غيركم هم أطوع لله منكم و خير منكم،

و في هذا تهـــــــديد للناس على:-

1- إقــــــامتهم على كفرهم

2-و إعـــــــراضهم عن ربهم،

فإن الله لا يعبأ بهم شيئا إن لم يطيعوه، و لكنه يمهل و يملي و لا يهمل.

***كقوله ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ محمد: ٣٨

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا)

(مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ)

ثم أخبر أن مَن كانت همته و إرادته دنية غير متجاوزة ثواب الدنيا،

و ليس له إرادة في الآخرة فإنه قد قصر سعيه و نظره،

و مع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها،

فإنه تعالى هو المالك لكل شيء الذي عنده ثواب الدنيا و الآخرة،

فليطلبا منه و يستعان به عليهما،

فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته،

و لا تدرك الأمور الدينية و الدنيوية إلا بالاستعانة به،

و الافتقار إليه على الدوام.

و له الحكمة تعالى في توفيق من يوفقه، و خذلان من يخذله و في عطائه ومنعه،

و لهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ .

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ
ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن
تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ
ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ
إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ)

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا

(قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ)

و القـــــــوَّام صيغة مبـــــــــالغة، أي:-

كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في:-

1- حقـــــــــوق الله

2-و حقـــــــــوق عباده،

أولا:-حقـــــــوق الله

فالقسط في حقـــــــوق الله أن :-

لا يستعــــــــــان بنعمه على معصيته،

بل تصـــــــــرف في طاعته.

ثانيـــــــــــا:-

1-و القسط في حقوق الآدميين أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك.

2-فتؤدي النفقات الواجبة، و الديون،

3-و تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، مـــــــــــن:-

[الأخلاق و المكافأة و غير ذلك.]

4-و من أعظم أنواع القسط القسط في المقالات و القائلين،

فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما،

بل يجعل وجهته العدل بينهما،

5-و من القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان،

حتى على الأحباب بل على النفس،

و لهذا قال:

(شُهَدَآءَ لِلَّهِ)

***الميسر:-مؤيدين للشهادة**

(وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ)

أي: فلا تراعوا الغني لغناه، و لا الفقير بزعمكم رحمة له،

بل اشهدوا بالحق على من كان.

✡و القيام بالقسط من أعظـــــــم الأمور و أدل على:-

1- ديــــــــن القائم به،

2-و ورعـــــــه و مقامه في الإسلام،

فيتعين على من نصح نفسه و أراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام،

و أن يجعله نُصْب عينيه، و محل إرادته،

و أن يزيل عن نفسه كل مانع و عائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به.

و أعظم عائق لذلك اتباع الهوى،

و لهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله:

(فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ)

***كقوله﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴾المائدة: ٨

أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق،

فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، و لم توفقوا للعدل،

فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا و الباطل حقا،

و إما أن يعرف الحق و يتركه لأجل هواه،

فمن سلم من هوى نفسه وُفِقَ للحق و هدي إلى الصراط المستقيم.

(وَإِن تَلْوُۥٓا۟)

❍و لما بيَّن أن الواجب القيام بالقسط نهى عن ما يضاد ذلك،

و هو لي اللسان عن الحق في الشهادات و غيرها،

و تحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه،

و يدخل في ذلك تحريف الشهادة و عدم تكميلها،

أو تأويل الشاهد على أمر آخر،

فإن هذا من اللي لأنه الانحراف عن الحق.

(أَوْ تُعْرِضُوا۟)

أي: تتركوا القسط المنوط بكم، كترك الشاهد لشهادته،

و ترك الحاكم لحكمه الذي يجب عليه القيام به.

***كقوله ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾
البقرة: ٢٨٣

(فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)

أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم خفيها وجليها،

و في هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض.

و من باب أولى و أحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور،

لأنه أعظم جرما، لأن الأولين تركا الحق، و هذا ترك الحق و قام بالباطل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ)

***كقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورًا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد: ٢٨

اعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في الشيء

و لم يتصف بشيء منه،

فهذا يكون أمرا له في الدخول فيه،

و ذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) الآية.

و إما أن يوجه إلى من دخل في الشيء فهذا يكون أمره ليصحح ما وجد منه

و يحصل ما لم يوجد،

و منه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان،

فـــــإن ذلك يقتضـــــــــي :-

1-أمرهم بما يصحح إيمانهم من الإخلاص و الصدق،

و تجنب المفسدات و التوبة من جميع المنقصات.

2-و يقتضي أيضا الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله،

فإنه كلما وصل إليه نص و فهم معناه و اعتقده

فإن ذلك من الإيمان المأمور به.

و كذلك سائر الأعمال الظاهرة و الباطنة،كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، و أجمع عليه سلف الأمة.

ثم الاستمرار على ذلك و الثبات عليه إلى الممات كما قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

و أمر هنا بالإيمان به و برسوله، و بالقرآن و بالكتب المتقدمة،

فهذا كله من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمنا إلا به،

إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله و تفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل،

فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى و أنجح.

(وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ)

*** وَهَذَا جِنْسٌ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ،

وَ قَالَ فِي الْقُرْآنِ: {نَزَّلَ} :-

لِأَنَّهُ نَزَلَ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا عَلَى الْوَقَائِعِ، بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ وَ مَعَاشِهِمْ،

وَ أَمَّا الْكُتُبُ الْمُتَقَدِّمَةُ فَكَانَتْ تَنْزِلُ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛ وَ لِهَذَا قَالَ: {وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ قَبْلُ}

(وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا)

*** أَيْ: فَقَدْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَ بَعُدَ عَنِ الْقَصْدِ كُلَّ الْبُعْدِ.

و أي ضلال أبعد من ضلال من ترك طريق الهدى المستقيم،

و سلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم؟

و اعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها،

لتلازمها و امتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض، ثم قال:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾

أي: من تكرر منه الكفر بعد الإيمان فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي،

و آمن ثم كفر و استمر على كفره و ازداد منه،

فإنه بعيد من التوفيق و الهداية لأقوم الطريق

و بعيد من المغفرة لكونه أتى بأعظم مانع يمنعه من حصولها.

فإن كفره يكون عقوبة و طبعًا لا يزول كما قال تعالى:

(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

و دلت الآية: أنهم إن لم يزدادوا كفرا بل رجعوا إلى الإيمان،

و تركوا ما هم عليه من الكفران، فإن الله يغفر لهم،

و لو تكررت منهم الردة.

و إذا كان هذا الحكم في الكفر فغيره من المعاصي التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه ثم عاد إلى التوبة، عاد الله له بالمغفرة.

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

البشارة تستعمل في الخير،

و تستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى:–

(بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ)

أي: الذين أظهروا الإسلام و أبطنوا الكفر، بأقبح بشارة و أسوئها،

و هو العذاب الأليم،

(بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)

و ذلـــــك بسبـــــــب:–

(ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ)

1–محبتهم الكفار و موالاتهم و نصرتهم،

2–و تركهم لموالاة المؤمنين، فأي شيء حملهم على ذلك؟

(أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ)

*****كقوله﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾فاطر: ١٠**

*****كقوله﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ المنافقون: ٨**

و هذا هو الواقع من أحوال المنافقين،

ساء ظنهم بالله و ضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين،

و لحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين،

و قصر نظرهم عمّا وراء ذلك←

فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم و يستنصرون.

(فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)

و الحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، و مشيئته نافذة فيهم.

و قد تكفل بنصر دينه و عباده المؤمنين،

و لو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين،

و إدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة و الاستقرار للمؤمنين،

و في هذه الآيـــــــة :-

1-التـــــــــرهيب العظيم من موالاة الكافرين؛

2-و تـــــــرك موالاة المؤمنين، و أن ذلك من صفات المنافقين،

3-و أن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين و موالاتهم،

و بغض الكافرين و عداوتهم.

4-***التهييج علي طلب العزة من جناب الله

و الالتجاء الي عبوديته و الانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم لنصرة في الحياة الدنيا و يوم يقوم الاشهاد

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ)

أي: و قد بيَّن الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر و المعاصي

(أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا)

أي: يستهان بها.

و ذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها و تعظيمها

و إجلالها و تفخيمها،

و هذا المقصود بإنزالها، و هو الذي خَلَق الله الخَلْق لأجله،

فضد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها و احتقارها،

و يـــــــدخل في ذلـــــــك :-

1-مجادلة الكفار و المنافقين لإبطال آيات الله و نصر كفرهم.

2-و كذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم،

فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، و لا تستلزم إلا صدقا،

3-بل و كذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي و الفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله و نواهيه،

و تُقْتَحم حدوده التي حدها لعباده و منتهى هذا النهي عن القعود معهم

(**فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ**)

*****كقوله**﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾ الأنعام: ٦٨

(**حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ**)

أي: غير الكفر بآيات الله و الاستهزاء بها.

(إِنَّكُمۡ إِذٗا ۚ)

أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة

(مِّثۡلُهُمۡۗ)

لأنكم رضيتم بكفرهم و استهزائهم،

و الراضي بالمعصية كالفاعل لها،

و الحاصل أن من حضر مجلسا يُعْصَى الله به←

فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها.

(إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)

كما اجتمعوا على الكفر و الموالاة و لا ينفع الكافرين مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى:

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ)

إلى آخر الآيات.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ
لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ
بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا
يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن
يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ
مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ
وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن
شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾

ﭐلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

ثم ذكر تحقيق موالاة المنافقين للكافرين و معاداتهم للمؤمنين فقال:–

(ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ)

أي: ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها،

و تنتهون إليها من خير أو شر، قد أعدوا لكل حالة جوابا بحسب نفاقهم.

(فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ)

فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرا و باطنا ليسلموا من القدح و الطعن عليهم،

و ليشركوهم في الغنيمة و الفيء و لينتصروا بهم.

(وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ)

و لم يقل فتح؛ لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة،

بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر، حكمة من الله.

***** إِدَالَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، كَمَا وَقَعَ يَوْمَ أُحُدٍ،**

فَإِنَّ الرُّسُلَ تُبْتَلَى ثُمَّ يَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ

فإذا كان ذلك

(قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ)

أي: نستولي عليكم

(وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ)

أي: يتصنعون عندهم بـــــــــ:-

1- كــــــــف أيديهم عنهم مع القدرة،

2- و منعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع في تفنيدهم و تزهيدهم في القتال،

3- و مظـــــــــاهرة الأعداء عليهم، و غير ذلك مما هو معروف منهم.

*****سَاعَدْنَاكُمْ فِي الْبَاطِنِ،وَ مَا أَلَوْنَاهُمْ خَبَالًا وَ تَخْذِيلًا حَتَّى انْتَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ.**

(فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ)

فيجازي المؤمنين ظاهرا و باطنا بالجنة، و يعذب المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات.

(وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا)

أي: تسلطا و استيلاء عليهم،

بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم،

و لا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين،

و دفعٍ لتسلط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان.

حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة،

قد بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم و لا يكونون مستصغرين عندهم،

بل لهم العز التام من الله، فله الحمد أوّلا وآخرًا، و ظاهرًا و باطنًا.

***قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: عَنْ يُسَيْعِ الْكِنْدِيِّ قَالَ:-
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: كَيْفَ هَذِهِ الْآيَةُ:
{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا} ؟
فَقَالَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ادْنُه ادْنُه، ثُمَّ قَالَ:
{فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا}
***وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:
{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا}
أَيْ: فِي الدُّنْيَا، بِأَنْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِمُ اسْتِيلَاءَ اسْتِئْصَالٍ بِالْكُلِّيَّةِ،
وَ إِنْ حَصَلَ لَهُمْ ظَفَرٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ،
فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غَافِرٍ: 51، 52] .
وَ عَلَى هَذَا فَيَكُونُ رَدًّا عَلَى الْمُنَافِقِينَ فِيمَا أَمَلَوْهُ وَ تَرَبَّصُوهُ وَ انْتَظَرُوهُ مِنْ زَوَالِ دَوْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ فِيمَا سَلَكُوهُ مِنْ مُصَانَعَتِهِمُ الْكَافِرِينَ،
خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ إِذَا هُمْ ظَهَرُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَاسْتَأْصَلُوهُمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [الْمَائِدَةِ: 52] .

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

(إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ)

***كقوله﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾البقرة: ٩

يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من قبيح الصفات و شنائع السمات،

و أن طريقتهم مخادعة الله تعالى، أي:-

بما أظهروه من الإيمان و أبطنوه من الكفران،

ظنوا أنه يروج على الله و لا يعلمه و لا يبديه لعباده،

(وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ)

و الحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم و مشيهم عليها،

خداع لأنفسهم.

و أي خداع أعظم ممن يسعى سعيًا يعود عليه بالهوان و الذل و الحرمان؟

❍و يدل بمجرده على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية،

و رآها حسنة، و ظنها من العقل و المكر،

فلله ما يصنع الجهل و الخذلان بصاحبه.

1-***هُوَ الَّذِي يَسْتَدْرِجُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ وَ ضَلَالِهِمْ،

وَ يَخْذُلُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا

2–و من خداعه لهم يوم القيامة ما ذكره الله في قوله:

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ)... إلى آخر الآيات.

***صحيح البخاري

6499 - عَنْ سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا، يَقُولُ: - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

وَ لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺغَيْرَهُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ«مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَ مَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»(Î)

(سمع) شهر بنفسه وأذاع ذكره وقيل عمل عملا على غير إخلاص يريد أن يراه الناس ويسمعوه.

(سمع الله به) كشفه على حقيقته وفضح أمره

(يرائي) يطلع الناس على عمله بقصد الثناء منهم.

(يرائي الله به) يطلع الناس على حقيقته وأنه لا يعمل لوجه الله تعالى فيذمه الناس مع استحقاق سخط الله تعالى عليه]

« وَ » من صفاتهم أنهم (وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ)

– إن قاموا– التي هي أكبر الطاعات العملية

(قَامُواْ كُسَالَىٰ) متثاقلين لها متبرمين من فعلها،

و الكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم،

فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله و إلى ما عنده، عادمة للإيمان،

لم يصدر منهم الكسل،

***كقوله﴿ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ ﴾ التوبة: ٥٤

***صحيح البخاري

657 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَ العِشَاءِ،

وَ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا و لَوْ حَبْوًا،

لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ المُؤَذِّنَ، فَيُقِيمَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يَؤُمُّ النَّاسَ،

ثُمَّ آخُذَ شُعَلًا مِنْ نَارٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لاَ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاَةِ بَعْدُ»

***صحيح البخاري

644 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ،

ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ،

ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ،

وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا،

أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»( )

(يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ)

أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم و هذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس و تعظيمهم و احترامهم و لا يخلصون لله،

فلهذا (وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)

لامتلاء قلوبهم من الرياء،

فإن ذكر الله تعالى و ملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله و عظمته.

***صحيح مسلم

(622) عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي دَارِهِ بِالْبَصْرَةِ، حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ، وَ دَارُهُ بِجَنْبِ الْمَسْجِدِ،

فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ، قَالَ: أَصَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ؟ فَقُلْنَا لَهُ:-

إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ،

قَالَ: فَصَلُّوا الْعَصْرَ، فَقُمْنَا، فَصَلَّيْنَا، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا،

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ

(أخالف) أقصد وخالف إليه إذا غاب عنه. (عرقا) عظما عليه بقية لحم قليلة. (مرماتين) مثنى مرماة وهي ظلف الشاة أي قدمها. (لشهد العشاء) لحضر صلاة العشاء]

حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ،
قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»( )

(مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ)

أي: مترددين بين فريق المؤمنين و فريق الكافرين.

فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا، و لا من الكافرين ظاهرا و باطنا.

أعطوا باطنهم للكافرين و ظاهرهم للمؤمنين، و هذا أعظم ضلال يقدر.

***كقوله﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾البقرة: ٢٠

صحيح مسلم

(2784) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ
تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً»،( )

و لهذا قال: (وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا)

***كقوله﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدًا ﴾الكهف: ١٧

***﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾الأعراف: ١٨٦

أي: لن تجد طريقا لهدايته و لا وسيلة لترك غوايته،

(فنقرها) المراد بالنقر سرعة الحركات كنقر الطائر]

(العائرة) المترددة الحائرة لا تدري أيهما تتبع (تعير) أي تتردد وتذهب]

لأنه انغلق عنه باب الرحمة، و صار بدله كل نقمة.

○فهذه الأوصاف المذمومة تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها،

من الصدق ظاهرا و باطنا، و الإخلاص،

و أنهم لا يجهل ما عندهم، و نشاطهم في صلاتهم و عباداتهم،

و كثرة ذكرهم لله تعالى.

و أنهم قد هداهم الله و وفقهم للصراط المستقيم.

فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين و ليختر أيهما أولى به،

و بالله المستعان.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ

أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ)

*الميسر: لا توالوا الجاحدين لدين الله،

و تتركوا موالاة المؤمنين و مودتهم.

ذكر أن من صفات المنافقين اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين،

نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة،

و أن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن

(أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا)

أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أنذرنا و حذرنا منها،

و أخبرنا بما فيها من المفاسد، فسلوكها بعد هذا موجِب للعقاب.

❍و في هـــــــذه الآية دليــــــــل على:

1- كمـــــــال عدل الله،

2–و أن الله لا يُعَذِّب أحدا قبل قيام الحجة عليه،

و فيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطانا مبينا.

إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا)

***رَوَي ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} قَالَ: -

الدَّرْكُ الْأَسْفَلُ بُيُوتٌ لَهَا أَبْوَابٌ تُطْبَقُ عَلَيْهِمْ،

فَتُوقَدُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ.

❍لما يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب،

و أشر الحالات من العقاب.

فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله و معاداة رسله،

و زادوا عليهم المكر و الخديعة و التمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين،

على وجه لا يشعر به و لا يحس.

و رتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم،

و استحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك و نحوه استحقوا أشد العذاب،

و ليس لهم منقذ من عذابه و لا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه،

و هذا عام لكل منافق إلا مَنْ مَنَّ الله عليهم بالتوبة من السيئات.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ)

له الظواهر و البواطن

(وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ)

و التجأوا إليه في جلب منافعهم و دفع المضار عنهم.

(وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ) الذي هو الإسلام و الإيمان و الإحسان

(لِلَّهِ) .

فقصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة و الباطنة وسلِمُوا من الرياء و النفاق،

فمن اتصف بهذه الصفات (فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ)

أي: في الدنيا، و البرزخ، و يوم القيامة

(وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا)

لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت،

و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر.

و تأمل كيف خص الاعتصام و الإخلاص بالذكر،

مع دخولهما في قوله: (وَأَصْلَحُوا)

لأن الاعتصام و الإخلاص من جملة الإصلاح،

لشدة الحاجة إليهما خصوصا في هذا المقام الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله،

و دوام اللجأ و الافتقار إليه في دفعه،

و كون الإخلاص منافيا كل المنافاة للنفاق،

فذكرهما لفضلهما و توقفِ الأعمال الظاهرة و الباطنة عليهما،

و لشدة الحاجة في هذا المقام إليهما.

و تأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: –

و سوف يؤتيهم أجرا عظيما، مع أن السياق فيهم.

بل قال: (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)

لأن هذه القاعدة الشريفة – لم يزل الله يبدئ فيها و يعيد،

إذا كان السياق في بعض الجزئيات،

و أراد أن يرتب عليه ثوابًا أو عقابا

و كان ذلك مشتركًا بينه و بين الجنس الداخل فيه،

رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تندرج تحته تلك القضية و غيرها،

و لئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي،

فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين و له ثوابهم.

ثم أخبر تعالى عن كمال غناه و سعة حلمه و رحمته و إحسانه فقال:

(مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ)

*الميسر :ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل

(وَءَامَنتُمۡۚ) بالله و رسولهﷺفإن الله سبحانه غني عمّن سواه،

و إنما يعذب العباد بذنوبهم.

(وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)

و الحال أن الله شاكر عليم.

يعطي المتحملين لأجله الأثقال، الدائبين في الأعمال،

جزيل الثواب و واسع الإحسان.

☼و من ترك شيئًا لله أعطاه الله خيرًا منه.

و مع هذا يعلم ظاهركم و باطنكم، و أعمالكم و ما تصدر عنه من إخلاص

و صدق، و ضد ذلك.

و هو يريد منكم التوبة و الإنابة و الرجوع إليه،

فإذا أنبتم إليه، فأي شيء يفعل بعذابكم؟

فإنه لا يتشفى بعذابكم، و لا ينتفع بعقابكم،

بل العاصي لا يضر إلا نفسه، كما أن عمل المطيع لنفسه.

و الشكر هو خضوع القلب و اعترافه بنعمة الله،

و ثناء اللسان على المشكور،

و عمل الجوارح بطاعته و أن لا يستعين بنعمه على معاصيه.